

دفع الأوهام

[ردُّ على إبراهيم اليازجي في رفضه
كلمات صحيحة أو جائزة الاستعمال]

بقلم

عبدالرحمن سلام البيروتي
(١٢٨٨ - ١٣٦٠ هـ)

تحقيق

محمد خير رمضان يوسف

١٤٤١ هـ

دفع الأوهام

[ردُّ على إبراهيم اليازجي في رفضه كلمات صحيحة أو جائزة الاستعمال]

بقلم

عبدالرحمن سلام البيروتي

(١٢٨٨ - ١٣٦٠ هـ)

تحقيق

محمد خير رمضان يوسف

١٤٤١ هـ

مقدمة التحقيق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:
(الأوهام) التي يعني بدفعها المؤلف تتعلق بالأخطاء اللغوية، وخاصة تصريف كلمات على غير النهج الذي عرفه العرب، في ادعاء ضرورة شعرية أو غيرها، وتذكير كلمة عُرفت بتأنيثها، أو العكس. وهكذا. وأصل الكتاب المردود عليه (لغة الجرائد) عام، في هذه الأخطاء وغيرها، وأعني الألفاظ الدخيلة أيضًا، كالمعرّبة، والأعجمية، والمولّدة، التي تكثر في استعمال الصحفيين، ولذلك سماه مؤلفه (إبراهيم اليازجي) بالعنوان المذكور. ولكن مؤلف هذا الكتاب اختار من بينها القسم الأول، وهي الموجودة في كتب السلف؛ فردّ عليها مدافعًا عن ملكتهم اللغوية، ونهجهم في التصريف والاختيار، بل ومشيدًا بهم، وداعيًا إلى الاقتداء بهم.
وأصل الكتاب المردود عليه منشور بالعنوان نفسه (لغة الجرائد) في مجلة صاحبها (الضياء)، المنشورة في عام ١٣١٧ هـ.

وصاحبها (اليازجي) قرأ الأدب واللغة على والده، واشتغل في إصلاح ترجمة الأسفار وغيرها لدى المرسلين اليسوعيين تسع سنوات! فهو من نصارى لبنان. واصطنع حروف الطباعة في بيروت، وكانت من قبل حروف المغرب والآستانة. وسمّى مخترعات عديدة بالعربية. ونظم الشعر. ومات سنة ١٣٢٤ هـ، الموافقة لـ ١٩٠٦ م.

ثم جمعت (لغة الجرائد) في كتاب بالعنوان نفسه، والرّدُّ عليه ونشره في العام نفسه كذلك! وبعد انتهاء الرد بقيت صفحات بيضاء في الكتاب، فمأها المؤلف بأرجوزة لخص فيها مضمونه، وضمنها الثناء على السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله، مستخدمًا فيه الكلمات التي اعترض على استعمالها (اليازجي). وهو في كل ردّ عليه يسميه (المعترض).

والمؤلف: عالم، لغوي، من بيروت. ولد عام ١٢٨٨ هـ، وانتسابه إلى آل (سلام) ولاء، فقد كان والده نصرانيًا وأسلم، وتسمّى بمحمد سليم. درس على شيوخ كبار، ثم تولى القضاء الشرعي بقليلية، وانتخب في اللجنة الصحفية لتنظيم شأن الصحافة. ويبدو أنه كان ذا ميول قومية، فأسس (النادي العربي) بدمشق في عهد الملك فيصل، ثم كان مديرًا للأوقاف، وانتخب

عضوًا في مجمع اللغة العربية، ثم عيّن أمينًا للفتوى في بيروت. وقد درّس في الكلية الصلاحية، وفي دار المعلمين، ومدرسة المقاصد، وغيرها. وقد خَلَّف تلامذة، وأثنى عليه علماء.

كتب في الجرائد، وأسس جريدة (القلم العريض) الفكاهية، كما شارك في تأسيس مجلة فكاهية أخرى هي (روضة المعارف). وترك أعمالًا علمية، منها كتابه هذا، وشرح ديوان النابغة الذبياني، وغيرها التي ربما تكون مخطوطة أو مفقودة. وكانت وفاته في عام ١٣٦٠ هـ، (١٩٤١ م).

صدر فيه كتاب بعنوان: عالم من بيروت: الشيخ عبدالرحمن سلام: لمحات من حياته وشيء من آثاره، ومعه: دفع الأوهام بقلم ابن سلام/ جمعها واعتنى بها حفيده بهاء الدين سلام. - بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م، ١٥١ ص^(١).

والكتاب المحقق صدرت طبعته الأولى عام ١٣١٧ هـ، كما ذكرت، عن المطبعة الأدبية ببيروت، وقد جاء العنوان مبهمًا هكذا (دفع الأوهام بقلم ابن سلام)، فأوضحته في الطبعة الجديدة، بقولي: ردُّ على إبراهيم اليازجي في رفضه كلمات صحيحة أو جائزة الاستعمال.

وقد جاء تحته قول مؤلفه:

لا أدعي الفضلَ وهل يدعي	من هو مثلي طالبٌ مستفيدٌ
فالفضلُ بعدَ الله سبحانهُ	لحضرة السلطانِ عبد الحميدُ
أيدهُ اللهُ تعالى بما	أنزلَ من آي الكتابِ المجيدُ

ويقع في (٦٤) ص من القطع الوسط.

وكتب بالقلم في مقابل صفحة العنوان - النسخة التي صورت منها - : هذا الكتاب أُلِّف في الردِّ على ما انتقده الشيخ إبراهيم اليازجي صاحب مجلة (الضياء) في مصر على بعض السلف، من العلماء والشعراء، تأليف الكاتب المجيد والشاعر المطبوع، الشيخ عبدالرحمن أفندي سلام البيروتي.

(١) وترجمته من هذا الكتاب، جزى الله مؤلفه خيرًا، وجزى فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العجمي خير الجزاء على إهدائي هذا الكتاب من مكتبته الخاصة.

وكنت قد احتفظت بصورة من كتاب (دفع الأوهام) لأجل تحقيقه منذ سنوات، وبحثت عن اسم مؤلفه يومئذ فلم أعرثر عليه، ولما بدأت به وحققت قسمًا منه، تبين أن كتابًا صدر فيه، ومعه (دفع الأوهام). ولما وصلني كنت قد شارفت على الانتهاء منه.

وحقُّ ما قال، فقد اعترض حتى على لغة بعض شعراء الجاهلية!
وقد حققت الكتاب نوع تحقيق، فقد اقتصرته فيه على ضبط الكلمات، وتفسير غريبها،
وتوثيق قسم لا بأس به من النصوص.
وضبط الكتب اللغوية ليس سهلاً، والكتاب لم تضبط كلماته من قبل إلا قليلاً، وكذا علامات
الترقيم فيه، فالمحقق هو المسؤول عنه، في أكثره.
وقد راجعه من بعدي ولدي صهيب وفقه الله، فاستدرك على ما حققت، وأصلح ما ندُّ من
قلمي، وأشار إلى ما لم أعرفه.
وأبقيته على ترقيم المؤلف (٤٠) فقرة، ووضعت لها عناوين، وكانت خالية منها، ووضعتها بين
معقوفات ليُعلم أنها من صنع المحقق، ولكن تبين في الأخير أن المؤلف جعل لها فهرساً بعناوين
الكلمات المرفوضة من قبل (اليازجي)، ويعني كما فعلتُ، فرددت كلمات فهرسته إلى أماكنها
في متن الكتاب، ووزعتها على فقراتها، بدلاً مما كتبته، وكانت شبيهة بها في معظمها، وحذفت
المعقوفات، وما أبقيته منها للتوضيح فمن قبلي.
والكتاب مفيد، وردُّ مفحم في فقرات عديدة منه، وقصدت منه خدمة لغة القرآن العظيم.
والحمد لله الذي يسرَّ، والشكر له على توفيقه وتأييده.

محمد خير يوسف

صفر ١٤٤١ هـ

إستانبول

رفع الالوهام

بقلم

ابن سلام

القائل

لا ادعي الفضل وهل يدعي * من هو مثلي طالب مستفيد
فالفضل بعد الله سبحانه * لحضرة السلطان عبد الحميد
أيداه الله تعالى بما * أنزل من آي الكتاب المجيد

طبع في بيروت في المطبعة الادبية سنة ١٣١٧ هجرية

بإذن صاحب المكتبة
المستدرك الشيخ
العلاء الدين
الملك
علاء الدين
البيروني

١٣١٧
١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى
 أما بعد فيقول الفقير اليه تعالى عبد الرحمن سلام
 البيروتي انني قد اطلعت في العدد التاسع من مجلة الضياء
 على فصل تحت عنوان (لغة الجرائد) من قلم الشيخ
 ابراهيم اليازجي صاحب المجلة المذكورة وبعد ان وقفت
 على مضمونه رايت انه لا بد لي من الوقوف على جميع
 ما تضمنته ثمة هذا الفصل فقد ظهر لي باديء بديء انه
 لا مندوحة لكل من ينتسب الى الادب اصيلاً كان
 في اهله او دخيلاً مني من الاطلاع على مثل هذا
 البحث مما يهيم الكاتب عمله والشاعر فهمه فاخذت
 اتتبع بقية الاجزاء عدداً عدداً الى ان اتضح لي ان
 المقصود مما حرره انما هو خلاف ما يتبادر لذهن من

نظر في مقدمته فان محصل مفهوم عبارة الشيخ الموما اليه
 في المقدمة نفسها النصح لكتاب الجرائد والتنبيه
 على بعض اغلاط صدرت عنهم في بعض الفاظ
 استعملوها في غير محلها مما لا يليق باللغة والكتاب يبدأ به
 ما عثم ان سم القلم ودم السم في الدسم وشرع يتهور في
 تخطئة فريق من مشاهير الكتاب والعلماء والادباء
 السالفين تهوراً لا يكاد يصدر عن مطلق انسان خلقه
 الله وعلمه البيان ولما كان الصبر على احتمال مثل هذا
 التحمل امراً امر من الصبر قلت في نفسي لا بد من
 الرد على ذلك والدفاع عن ما هنالك ربما اني لست من
 رجال هذا المجال تركت ذلك لاهله من اعلام العلماء
 وافاضل الادباء وما زلت اتوقع منهم ما يشفي غلتي
 ويروي غلتي الى ان علمت يقيناً ان اولئك الجهابذة هم
 اعظم من ان يحرك احد قلمه او يكتب كلمة او يفتح
 فمه في رد ما هو عبارة عن محض اوهام بينها وبين

المواد المذكورة

رقم	الوصف	الرقم	الوصف
٣٩	قط	٣٢	تركيب نحوي
٥٣	البد	٣٣	خرابه
٥٤	انسكا	٣٤	مشعوت
٥٥	آزرة	٣٥	متعوب
٥٦	صفار	٣٦	حرفها
	نزهة البلاء		تعريف عليه
٥٧	من الضرر	٣٩	المشا
	تذكر المير	٤٠	مشاف
	والقديم		من الضرر
	والكف		تذكر المير
	والرحي		والقديم
	والقباطي		والكف
	ورق		والرحي
	شقاق		والقباطي
	معه		ورق
			شقاق
			معه

أما أنا فإست أرضي أحدا * فقط سواه موثلا ومقتدى
معروفه المعروف جيم ابدا * من غيره بين الملوك ما بدا
قد غمر الناس بأنواع الملح * وعمر الكون برأي قد رجح
اصح شأن كل حال فانصلح * ففاه فيه الشعراء بالمدح
أزر دين الله كالأزره * بها العرى تشد مستمره
هيات أن تلقى قدر ذره * في حكمه المحكم من مضره
كم هاج هيجاء فثبتت نار * يسمع من زفيرها اعصار
ان لاح من شرارها احمرار * لاح باوجه العبد صفار
فقل لمن يجمله بأنه * ملك سما من العلاء فته
بل ملك من السما لكنه * رعى الوجود انسه وجته
صعب بان احيط في كلامي * بوصف قدره السني السامي
لازال منصورا على الدوام * ما فاح مسك البدء والختام

تنبية * انما استعملت في منظومتي هذه الالفاظ التي
اعترض عليها المعترض ليكون العوام ومن هو في درجتهم على
يقين من أن كل ما تكلموا به صحيح والأفان خواص على اختلاف
طبقاتهم لا يداخلهم شك ولا يتخلل عقائد ريب في صحة
كلام السلف من منقذهم ومتأخر والعصمة لله وحده ولا نبياته
بعده والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين
وآله وصحبه اجمعين

[مقدمة المؤلف]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، أما بعد:
فيقولُ الفقيرُ إليه تعالى عبدالرحمن سلام البيروتي: إنني قد اطلعتُ في العددِ التاسع من مجلة (الضياء)^(٢) على فصلٍ تحتَ عنوانٍ "لغة الجرائد"^(٣)، من قلم الشيخ إبراهيم اليازجي^(٤)، صاحبِ المجلة المذكورة، وبعد أن وقفتُ على مضمونه رأيتُ أنه لا بدَّ لي من الوقوفِ على جميع ما تضمَّنته تنمَّةُ هذا الفصل.

فقد ظهرَ لي بادئ ذي بدء، أنه لا مندوحةً لكلِّ من ينتسبُ إلى الأدب، أصيلاً كان في أهله أو دخيلاً مثلي، من الاطلاعِ على مثلِ هذا البحث، مما يهْمُ الكاتبَ علمه، والشاعرَ فهمه. فأخذتُ أتتبعُ بقيةَ الأجزاء عدداً عدداً، إلى أن اتضحَ لي أن المقصودَ مما حرَّره إنما هو خلافُ ما يتبادرُ لذهنٍ من نظرٍ في مقدمته.

فإن محصَّلَ مفهومِ عبارةِ الشيخ الموماً إليه في المقدمة نفسها: النصُّحُ لكتَّابِ الجرائد، والتنبيهُ على بعضِ أغلاطٍ صدرتْ عنهم، في بعضِ ألفاظٍ استعملوها في غيرِ محلِّها، مما لا يليقُ باللغة والكتَّاب.

(٢) مجلة علمية أدبية صحية صناعية - كما ظهر على غلافها - لصاحبها إبراهيم اليازجي. صدرت في مصر. سنتها الأولى ١٨٩٨ - ١٨٩٩ م (الموافقة لـ ١٣١٦ - ١٣١٧ هـ). وعاشت ثمانية أعوام. ذكر في مقدمة العدد الأول منها، أنها صنو مجلته السابقة (البيان) التي لم تستوف سنتها الأولى.

(٣) من ص ١ - ٧٠ في المجلة.

(٤) إبراهيم ناصيف اليازجي. ولد ونشأ في بيروت. قرأ الأدب على والده. اشتغل في إصلاح ترجمة الأسفار وغيرها لدى المرسلين اليسوعيين تسع سنوات! مضى إلى أوروبا، واستقر بمصر، وأصدر فيها مجلتي (البيان) مع بشارة زلزل، و(الضياء) بنفسه. وقد اصطنع حروف الطباعة في بيروت، وكانت من قبل حروف المغرب والآستانة. وسمَّى مخترعات عديدة بالعربية. وقد نظم الشعر وألف كتباً. حياته بين (١٢٦٣ - ١٣٢٤ هـ)، الموافقة لـ (١٨٤٧ - ١٩٠٦ م). الأعلام ٧٦/١.

بيد أنه ما عتم أن سمَّ القلم، ودسَّ السمَّ في الدسم، وشرع يتهوّر في تخطئة فريقٍ من مشاهير الكتاب والعلماء والأدباء السالفين، تهوّرًا لا يكادُ يصدرُ عن مطلق إنسانٍ خلقه الله وعلمه البيان.

ولما كان الصبرُ على احتمالٍ مثل هذا التحاملِ أمرًا من الصبرِ، قلتُ في نفسي: لا بدَّ من الردِّ على ذلك، والدفاعِ عما هنالك^(٥).

وبما أني لستُ من رجالِ هذا المجال، تركتُ ذلك لأهله، من أعلام العلماء وأفاضل الأدباء. وما زلتُ أتوقّع منهم ما يشفي علتي، ويروي غلتي، إلى أن علمتُ يقينًا، أن أولئك الجهابذة هم أعظمُ من أن يحركَ أحدهم قلمه، أو يكتبَ كلمةً أو يفتحَ فمه، في ردِّ ما هو عبارةٌ عن محض أوهام، بينها وبين الصوابِ بعدُ المشرقين.

وبما أنهم وكلُّوا هذا الأمرَ إلى من هو بالنسبة إليهم كغرفةٍ من يَمِّ، أو رشفةٍ من ديم^(٦)، دارَ في خَلدي أنهم لم يعنوا سواي، ولم يريدوا إلا إياي.

وبعد الاتكالِ على مُلهم الصواب، شرعتُ في المقصود، مستمدًّا من مفيضِ الجودِ على الوجود، أن يُبعدنا عن الزلل، ويحفظنا من الخلل، إنه على كلِّ شيءٍ قدير، وهو نعم المولى ونعم النصير. وبعد التمام، سمّيتُ ذلك "دفع الأوهام"، راجيًا ممن نظرَ فيه أن لا يلحظه بعينِ السخط، وأن يُصلح ما فيه من وكسٍ أو شطط^(٧)، فإن الإنسانَ محلُّ النسيان، وأولُ ناسٍ أولُ الناس.

فإن تجدُ عيبًا فسدَّ الخلا
فجلَّ من لا عيبَ فيه وعلا

(٥) كان رده في السنة نفسها التي صدرت فيها المجلة، وطبع كذلك في السنة نفسها (١٣١٧ هـ).

(٦) اليم: البحر، والديم: المطر يطول زمانه.

(٧) الوكس: النقص، والشطط: تجاوز الحد.

ينع

(١) وهَمَّ المعترضُ الحريريَّ في استعماله (الينع) للحديقة^(٨)، حيثُ يقولُ في مقاماته: "وكان يوماً حامياً الوديقة، يانع الحديقة"^(٩). وخطأً الشريشي^(١٠) في تفسيره "يانع الحديقة" بناعم الروضة^{(١١)(١٢)}.

قلت: من عرف ما في معنى الحديقة من الخلاف عند أئمة اللغة، عرف صحة كلام الحريري. ففي القاموس: والحديقة: الروضة ذات الشجر، جمعها حدائق، أو البستان من النخل والشجر. قال في التاج: وخصَّ بعضهم من النخل والشجر: الملتف، وهو قول ابن دُرَيْد^(١٣) والزجاج^(١٤). وخصَّ بعضهم الشجر بالمتنم. اهـ.

وهذا القول الأخيرُ يصحُّ استعمالَ الينع للحديقة.

ومن لاحظَ النكتةَ في قوله: "وكان يوماً حامياً الوديقة"، عرف أن المرادَ بالحديقة ثمرها، بخلاف ما لو قال: ذا وديقة؛ لأن الوديقة هي شدة الحرِّ. فلما قصدَ المبالغةَ في شدة حرِّ ذلك اليوم قال: "حامياً الوديقة"، فأفادَ ذلك أنه يومٌ بلغت فيه شدة الحرِّ درجةً التناهي. وإنما يُدركُ ورقُ الشجرِ ويَينع، أي: يَنضجُ ثمرها في مثل ذلك اليوم.

ثم ماذا نقولُ في قول الزجاج: "إني لأرى رؤوساً أينعت، وحانَ قطأُها"^(١٥)، أليسَ ذلك تشبيهاً للرؤوسِ في استحراقِ القتلِ بثمارٍ أدركتُ وحانَ قطأُها؟

(٨) ليس الحريري وحده، بل أورد اليازجي أسماء آخرين غيره قالوا ذلك. وبأني هذا في الفقرة (٢).

(٩) ذكره في المقامة النصيبية، ص ١٨٩.

(١٠) أبو العباس أحمد بن عبدالمؤمن الشريشي الأندلسي (ت ٦١٩ هـ)، أديب لغوي. له شرح كبير على المقامات الحريرية، وآخر وسط، وثالث صغير. الأعلام ١/١٦٤.

(١١) شرح مقامات الحريري للشريشي ٧٨/٢.

(١٢) جمعت حلقات (لغة الجرائد) في كتاب، وقف على طبعه مصطفى توفيق المؤيدي، وهذا في ص ٨ منه. ولكن ظهرت في الكتاب أخطاء، بعد أن نضد من جديد.

(١٣) محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، من أئمة اللغة والأدب، ت ٣٢١ هـ.

(١٤) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الزجاج. من علماء اللغة والنحو المشهورين. ت ٣١٠ هـ.

(١٥) تاريخ الإسلام للذهبي ٧٦٤/٢.

ومع ذلك كله، فما المانع من أن يُرادَ بالحديقةِ ثمرها؟ أي: يانعُ ثمرِ الحديقة، على حذفِ مضاف، فقد جاءَ في التنزيل: {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ} (١٦)، أي: أهلَ القرية (١٧).
أو أن يُراد: يانعُ ثمرِ شجرِ الحديقة، على حدِّ قوله تعالى: {مِنْ أَثْرِ الرَّسُولِ} (١٨)، أي: من أثرِ حافرِ فرسِ الرسول (١٩).
وأما تفسيرُ الشريشيِّ يانعَ الحديقةِ بناعمِ الروضة، فهو صحيحٌ أيضاً بطريقِ الزوم، نعم، وأيُّ روضةٍ لا تكونُ ناعمةً في يومِ بلغِ الحرُّ فيه الحدَّ؟
ولا ريبَ أنه يلزمُ من مثلِ ذلك اليومِ إدراكُ ورقِ الشجر.
ومنه ينعَ الثمر، ومنه النعومةُ بالنظرِ لمن أدركَ الوقتَ الذي بلغَ الحرُّ فيه درجةً غائيةً.

(٢) وأخذَ على الشريشيِّ أيضاً بقوله في حُطبةِ شرحِ المقامات: "ولم يزل في كلِّ عصرٍ من حملتهِ بدرُّ طالع، وزهرٌ غصنٍ يانعٍ" (٢٠).
وخطأً القاضي شهابُ الدين بن فضلِ الله (٢١) في قوله: "حتى تدفَّقَ نهره، وأينعَ زهره" (٢٢).
والصفدي (٢٣) في قوله:

يا من حواه اللحدُ غصناً يانعا وكذا كسوفُ البدرِ وهو تمامٌ (٢٤)

قلت: كلُّ ذلك من قبيلِ اعتراضه على الحريري فيما سبق ذكره وثبتت صحته، ومع ذلك فنقول: لا مانع من تفسير (اليانع) في قولِ الشريشيِّ بالمدرِك، سواءً اعتُبرَ نعتاً لزهراً أو لغصن، فالعبارةُ على كلِّ جاريةٍ على التشبيهِ بجامعِ الإدراكِ في كلِّ من الطرفين؛ لأنَّ الزهرَ لا يقالُ له

(١٦) سورة يوسف: ٨٢.

(١٧) تفسير الطبري، عند تفسير الآية.

(١٨) سورة طه: ٩٦.

(١٩) "من أثر حافر فرس جبرائيل". تفسير الطبري، عند تفسير الآية الكريمة.

(٢٠) شرح مقامات الحريري ٨/١.

(٢١) شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري، مؤرخ وأديب دمشقي مشهور، ت ٧٤٩ هـ.

(٢٢) في المصدر (لغة الجرائد): رواه صاحب فوات الوفيات.

(٢٣) صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، الأديب والمؤرخ المعروف، صاحب "الوفاي بالوفيات" وغيره، ت ٧٦٤ هـ.

(٢٤) لغة الجرائد ص ٨.

زهراً حتى يفتتح، وهو قبل تفتحه بُرعم^(٢٥). وأما الغصن، فهو وإن كان بمعنى ما تشعب من ساق الشجر، فإنه يختلف بحسب الإدراك والبلوغ، فرب غصن هو في قوة ساق بالنظر لما يتشعب منه، فهو فرع باعتبار أصل باعتبار آخر.

ومما يدلُّ على أنه لم يُرد مطلق زهر ولا مطلق غصن، قوله: "بدر طالع"، فإن البدر هو القمر الممتلئ، وسُمِّي بدرًا لتمامه، قال في المصباح: والبدر: القمر ليلة كماله، وهو مصدر في الأصل، يقال: بدر القمر بدرًا، من باب قتل، ثم سُمِّي الرجل به.

وهكذا قوله بعد هذه السجعة: "وعلم ترنو إليه أبصار، وتومئ إليه أصابع". فإن قوله: "علم" مما يؤيد ذلك أيضًا. فكأنه قال: "ولم يزل من حملة علم الأدب من هو كالبدر في تمامه، والزهر المتفتح في أكمامه، والغصن في إدراكه"، ما يجعله كالأصل بما يتفرغ عنه، وكالعلم في سائر معانيه، قوة وثباتًا، وعظمًا ورفعة، وما أشبه ذلك.

هذا، وقد جاء فيما استدركه شارح القاموس ما نصه: وقد يُكنى بالإيناع عن إدراك المشوي والمطبوخ، ومنه قول أبي السَّمال للنجاشي: "هل لك في رؤوس جذعان في كرش قد أينعت وتهرأت؟". حكاه ابن الأعرابي^(٢٦). ١. هـ.

وقد مرَّ أيضًا فيما سبق في الجواب عن الاعتراض الأول ما قاله الحجاج، فهل بعد ذلك وبعد قولهم: "أينعت الكرش" أقل مانع من أن يقال: زهر يانع، أو غصن يانع؟ وإذا تقرَّر ذلك فقد صحَّ قول القاضي شهاب الدين: وأينع زهره، وقول الصفدي: يا من حواه اللحد غصنًا يانعًا.

ضوضي

(٣) وأخذ على الحارث بن حلزة^(٢٧) في قوله:

(٢٥) يقال: بُرعم، وبُرعم.

(٢٦) وأورده صاحب تاج العروس في مادة (ينع). وتفصيله في لسان العرب، في المادة نفسها، وضبط (السما) منه ومن أنساب الأشراف ٦/٢٦٨. وأبو السمال اسمه سمعان بن هبيرة، أو البراء بن سمعان. شهد القادسية. والنجاشي الحارثي اسمه قيس بن عمرو، شاعر مخضرم. والجذعان جمع جذع، وهو ولد الشاة في السنة الثانية.

(٢٧) في الأصل (الحرث)، وهو إملاء قديم لاسم (الحارث)، بخذف ألفه، كما في كلمات أخرى. وهو شاعر جاهلي من بني وائل، من بادية العراق، أحد أصحاب المعلقات، ت نحو ٥٠ ق. هـ. الأعلام ٢/١٥٤.

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ بَلِيلٍ فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ

قالَ المعتز: فَأَنْتَ الضَّوْضَاءُ عَلَى تَوْهْمٍ أَنَّهُ مِنْ بَابِ شَحْنَاءٍ وَبِغَضَاءٍ، وَالَّذِي يَلْزِمُ عَنْ هَذَا أَنْ يَكُونَ اشْتِقَاقُهُ مِنْ ضَاضٍ يَضُوضُ، وَهِيَ مَادَّةٌ لَمْ يَنْطِقُوا بِهَا. وَالصَّحِيحُ أَنَّ الضَّوْضَاءَ وَزْنُهُ فَعْلَالٌ، عَلَى حَدِّ بَلْبَالٍ وَزَلْزَالٍ، وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الضَّوَّةِ^(٢٨). إِلَى آخِرِ مَا قَالَ مِمَّا لَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِ^(٢٩). قَلْتُ: لَا يَخْفَى أَنَّ ابْنَ حِلْزَةَ مِنَ الْجَاهِلِيِّينَ، فَنَسَبَةُ الْوَهْمِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ إِلَى الْجَاهِلِيِّ أَمْرٌ غَيْرٌ مُسَلَّمٌ. وَهَذَا اللَّفْظُ وَإِنْ كَانَ اشْتِقَاقُهُ مِنَ الضَّوَّةِ، وَهِيَ الْجَلْبَةُ، فَيَجُوزُ تَأْنِيثُهُ بِاعْتِبَارِ مَعْنَاهُ.

عَلَى أَنَّ صَاحِبَ الْقَامُوسِ لَمْ يَشْتَقِّ هَذَا اللَّفْظَ مِنَ الضَّوَّةِ، بَلْ ذَكَرَهُ فِي ضَاضٍ. وَإِنْ أَبِي الْمَعْتَزِ، فَقَدْ قَالَ فِي فَصْلِ الضَّادِ، مِنْ بَابِ الضَّادِ: الضَّوْضَى - مَقْصُورَةٌ - : الْجَلْبَةُ، وَأَصْوَاتُ النَّاسِ لُغَةٌ فِي الْمَهْمُوزَةِ. أ. هـ.

ووصفَ الشارحُ المَهْمُوزَةَ بِالْمَمْدُودَةِ.

ثُمَّ انظُرْ تَجَدُّدَ أَنَّ الْحَالَ لَمْ تَأْتِ مِنْ هَذَا اللَّفْظِ مَذْكَرَةً فِي قَوْلِ صَاحِبِ الْقَامُوسِ: "الضَّوْضَى مَقْصُورَةٌ"، وَلَا الْمَجْرُورَ فِي قَوْلِهِ: "المَهْمُوزَةُ"، وَلَا الصِّفَةَ كَذَلِكَ فِي قَوْلِ الشَّارِحِ: "المَمْدُودَةُ"، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا كَلِّهِ، وَبَعْدَ كَوْنِ اللَّفْظِ الْمَذْكَورِ بِمَعْنَى الْجَلْبَةِ، وَأَصْوَاتِ النَّاسِ، يُقْبَلُ تَوْهِيمٌ مِنْ أَنَّتَ الضَّوْضَاءِ، فَضَالًا عَنْ كَوْنِهِ ابْنَ اللَّغَةِ؟

وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمَعْتَزَ مَعَ كَثْرَةِ إِطْلَاعِهِ قَدْ فَاتَتْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ الْعَرَبِيِّ:

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمَرْجِي مَطِيَّتُهُ سَائِلُ بَنِي أَسَدٍ مَا هَذِهِ الصَّوْتُ

فَقَدْ أَنْتَ الصَّوْتُ حَمَلًا لَهُ عَلَى الْمَعْنَى، أَيُّ: مَا هَذِهِ الْجَلْبَةُ؟

وَهَذَا الْبَابُ وَاسِعٌ، كَثِيرُ الْأَمْثَلَةِ وَالشَّوَاهِدِ. عَلَى أَنَّهُ لَوْ اطَّلَعَ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ لَخَطَّأَ قَائِلُهُ، كَمَا هِيَ عَادَتُهُ!

(٢٨) تَكَمَّلَتْهُ كَمَا فِي مَصْدَرِهِ: اشْتِقَاقُهُ مِنَ الضَّوَّةِ، وَهِيَ الصِّيَاحُ وَالْجَلْبَةُ، وَأَصْلُهُ ضَوْضَاءٌ، ثُمَّ قَلْبَتِ الْوَاوُ هَمْزَةً لِتَطْرَفِهَا

بَعْدَ أَلْفٍ. [هَكَذَا].

(٢٩) لُغَةُ الْجَرَائِدِ ص ١٥.

ذهل

(٤) واعتراضَ علي صاحبِ (المصباح) بسببِ أنه فهمَ من عبارةٍ له في (ذهل) ما لا يتصوّرُ فهمه من مثله! وإليك عبارة صاحبِ (المصباح):

قالَ في (ذهل): ذَهَلْتُ عن الشيءِ أذهل - بفتحتين - ذهولًا: غفلت. وقد يتعدّى بنفسه، فيقال: ذهلتُه.

والأكثرُ أن يتعدّى بالألف، فيقال: أذهلني فلانٌ عن الشيءِ. ا. ه. عبارة المصباح.

قالَ المعارض: وهذا القولُ عجيبٌ من مثله! لأن مقتضاهُ أن التعديتين بمعنى واحد، وأنك تقول: ذهلني فلانٌ عن الشيءِ، كما تقول: أذهلني. وهو سهوٌ منه؛ لأن تعدية الفعلِ بنفسه إنما تكونُ إلى الشيءِ المذهول عنه، تقول: ذهلتُ الشيءِ، وذهلتُ عنه. وتعديته بالألفِ تكونُ إلى الشخصِ الذاهل، كما مثَّل. فقولُه: الأكثرُ أن^(٣٠) يتعدّى بالألف، ليس بشيء، إذ لا تنظيرَ هنا؛ لأن كلاً من التعديتين من واد، كما يظهرُ بأدنى تأمل^(٣١).

قلت: قد ادّعى المعارضُ أن في عبارة صاحبِ (المصباح) تنظيراً بين التعديتين، على أن عبارة (المصباح) لم تفهم مثلَ هذا الادّعاء، نعم، لو أطلقَ العبارةَ ولم يأتِ لكلِّ من التعديتين بمثال، لكانَ يتبادرُ للذهنِ التنظير، وليس الأمرُ كذلك، فقد تعيّنَ كلُّ من مفعولي ذهلٍ وأذهلٍ بما مُثِّل، ولولا التمثيلُ لما فهمَ المعارضُ، ولا من هو فوقه في المعقول، إلا التنظير، بحيثُ يصحُّ أن يقال: ذهلتُه وأذهلتُه.

ومن أين له لولا النصُّ ومفهومه أن يقول: "إن كلاً من التعديتين في واد"؟ فالسهوُ حاصلٌ من المعارضِ لسوءِ الفهمِ فيما هو بديهياً لا يحتاجُ إلى أدنى تأمل، لا من صاحبِ المصباحِ المنير.

انفراط

(٥) قالَ المعارض: ويقولون - يعني كتابَ الجرائد - : انفراطُ العقدِ، أي: انتثرَ وتبدّد. وهو من أوضاعِ العامةِ صيغةٌ ومعنى.

(٣٠) في الأصل: الأكران! أو هكذا بدت، في خطأ مطبعي.

(٣١) لغة الجرائد ص ٢٠ (الهامش).

ومن الغريب أن هذا اللفظ ورد في كلام ابن حجة الحموي^(٣٢)، في (خزانة الأدب)، وهو قوله في الكلام على نوع الانسجام: "وقد أجبأتني ضرورة الجنسية إلى ضم المتقدمين مع المتأخرين؛ لئلا ينفرد لعقودها نظام"^(٣٣).

ومثله بعد صفحات: "وقدمت عصر المتأخر لئلا ينفرد سلكه"^(٣٤). فجعل هنا الانفراد للسلك، وهو أغرب؛ لأن المتعارف في معنى هذه اللفظة عند العامة الانتشار، وقد فرط الشيء فانفرد، يقولون: فرطت حب الرمانة، وانفرد عنقود العنب، ونحو ذلك، ولا يقولون: انفرد الخيط أو الحبل^(٣٥).

قلت: من المعلوم أن ما حرر من اللغة هو أقلها، وأنه قد يوجد لفظ لم يكن معروفًا عندنا، بالنظر لعدم وروده فيما بين أيدينا من كتب اللغة. وكم من كتاب مطول قد خلا عن بعض كلمات ذكرت فيما دونه من الكتب المختصرة!

ومن المسلم أن ابن حجة الحموي ومن عاصره أو تقدمه من أكابر العلماء وأفاضل الأدباء، قد اطلعوا على ما لم نطلع نحن عليه في عصرنا هذا من بعض كتب اللغة وغيرها.

وهذا صاحب (تاج العروس) قد ذكر في حطبة شرح القاموس، مما وقف عليه واستمد منه من الكتب، عددًا ليس لنا علم إلا ببعضه، ولم نقف إلا على أسماء البعض الآخر دون المسمى.

وإذا تقرّر هذا لزمنا - معشر أبناء هذا العصر - مراعاة الأدب التام مع السلف الصالح، وخاصة المتقدمين، بأن نتلقى ما ورد عنهم بالقبول، ونعتقد بفضلهم؛ لوفرة اطلاعهم، وطول باعهم، فيما هم أحق به منا تحقيقًا وتدقيقًا، فضلًا عن كونهم أقرب عهدًا منا باللغة وأربابها، الذين كانوا يتلقونها بطريق الرواية في الغالب، وعلى سبيل الدراية على الأغلب.

فقوله: "ومن الغريب أن هذا اللفظ - يعني انفرد - قد ورد في كلام ابن حجة الحموي"، بعد قوله: "وهو من أوضاع العامة"، مما لا يليق بمثله، ولو طالبناه بالبرهان عن كون اللفظ المذكور

(٣٢) أديب عصره تقي الدين أبو بكر بن علي بن حجة الحموي، من حماة، ت ٨٣٧ هـ.

(٣٣) خزانة الأدب وغاية الأرب ١/٤٢٦.

(٣٤) خزانة الأدب ١/٤٥٤، وفيه قوله: "وقدمت المتأخر عصرًا لئلا ينفرد سلكه وتذهب لذته".

(٣٥) لغة الجرائد ص ١٤.

من أوضاع العامة لم يكن برهانه إلا قوله: "إن هذه الكلمة لم ترد في كتب اللغة"، يعني بذلك الكتب المتداولة بين أيدينا، كاللسان، والتاج، وما دونهما، مما تداولته أيدي أبناء هذا العصر. وحينئذ فلنا أن نقول: هذه الكتب لم تتكفل لنا إيراد ألفاظ اللغة كلها، وإن هناك كتباً غير هذه لم يبلغ بعضها بعضنا، ولا كلها كلنا. فاندفع أن يكون (انفرط) عامياً إلا ظناً واحتمالاً، واليقين لا يزول بالشك، فما بالك فيمن جعل الشك عين اليقين؟!!

ثم إن هذا اللفظ جاء في (قطر المحيط) للبستاني^(٣٦)، قال فيه: "وانفرط الشيء انحل"^(٣٧). فلم يبق للمعترض إلا التسليم، أو أن يتمسك بأقوال:

أحدها: أن يقول: إن البستاني قد نقل هذا اللفظ عن بعض كتب اللغة مما لم يصل إلينا، أو لم نطلع عليه، ولن يقول ذلك، لئلا يكون قوله هذا حجة عليه.

ثانيها: أن يقول: إن البستاني قد وجد هذا اللفظ مستعملاً في كلام القوم السالفين، كابن حجة وأمثلة، فوضعه في كتابه، وفسره بما يقتضيه ظاهر المقام، ويستلزمه سياق الكلام. وهذا مما يثبت للبستاني كبير فضل وغزير عقل؛ نظراً لوثوقه بكلام المتقدمين، شأن كل عاقل.

ثالثها: أن يقول: إننا لا نثق بالبستاني في مثل هذا الفن، وحينئذ فلا يسعنا إلا أن نقول له: إننا لا نثق باليازجي أيضاً في مثل ذلك، ولو ادعى الاجتهاد فيه، فكل يدعي... وكل من يدعي. إلخ^(٣٨).

وكيف نثق به وهو القائل: إن ورود لفظ (انفرط) في قول ابن حجة "لئلا ينفرط لعقودها نظام" غريب؟، وأن قوله: "لئلا ينفرط سلكه" أغرب، بداعي أنه جعل الانفرط في العبارة الأولى للنظام، وفي الثانية للسلك؟!!

(٣٦) بطرس البستاني، أديب لغوي موسوعي لبناني، ت ١٨٨٣ م.

(٣٧) مادة (فرط). وهو أحد معاني الكلمة.

(٣٨) يعني بيت مجنون بني عامر:

وليلي لا تقر لهم بذاكا

وكل يدعي وصلاً بليلى

فقد فرّق المعترضُ بين النظامِ والسلكِ في العبارتين، ولم أدرِ ما حملُهُ على ذلك سوى اجتهادهِ على أنه جاءَ في (المصباح): نظمتُ الخرزَ نظماً، من بابِ ضرب: جعلتهُ في سلك، وهو النظام، بالكسر^(٣٩). فراجعه.

أَكْرِبُهُ

(٦) وغلطَ الإلبيريُّ^(٤٠) في قوله:

ومهما أكربتك صروفُ دهرٍ

فقلن ما قاله الرجلُ الأريبُ

يريدُ أنه لم يردْ (أكرب) بمعنى (كرب)^(٤١).

قلت: لا مانعَ من استعمالِ (أكربُهُ الأمرُ) مكانَ (كربُهُ)، ففي التاج: أكربتُ السقاءَ إكراباً إذا ملأته.

وفي مجاز الأساس^(٤٢): ملأْتُ السقاءَ حتى أكربتُهُ وكظظته.

وفي التاج على القاموس: وكظَّهُ الأمرُ يكظُّه كظاً، وكظاظاً وكظاظه، بفتحهما: بهظه، وملاؤه همًّا، وكربُهُ، وجهدُهُ، وأثقلَهُ. وهو مجاز. ا. هـ^(٤٣).

وهنا لنا أن نقول: إذا جازَ أن يأتيَ أكرَبَ بمعنى كظَّ، وكظَّ بمعنى كرب، جازَ أن يأتيَ أكرَبَ بمعنى كرب.

وعليه، فقولُ الإلبيريِّ صحيحٌ، لا غبارَ عليه.

(٣٩) مادة (نظم) من المصباح المنير.

(٤٠) أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود الإلبيري الأندلسي. شاعر، اشتهر بغرناطة. نفى إلى إلبيريا لإنكاره على أميرها كونه استوزر يهودياً. ت نحو ٤٦٠ هـ. الأعلام ٧٣/١.

(٤١) لغة الجرائد ص ١٨.

(٤٢) للزمخشري.

(٤٣) تاج العروس مادة (ك ظ ظ).

أعدّ

(٧) وغلطَ صفوان بن إدريس^(٤٤) باستعماله (أعدّ) مكانَ (عدّ)^(٤٥)، في قوله:

وقد أسكرتُ أعطافَ أغصانها الصِّبا وما كنتُ أعددتُ الصِّبا قبلها خمراً^(٤٦)

قلت: قوله: "أعددتُ" بمعنى عددتُ له وجهٌ يصححه.

قال في اللسان: حكى اللحياني عن العرب: عددتُ الدراهمَ أفراداً ووحاداً، وأعددتُ الدراهمَ أفراداً ووحاداً. ثم قال: لا أدري أمنَ العددِ أم من الغُدَّة^(٤٧). فشكُّه في ذلك يدلُّ على أن (أعددت) لغةٌ في (عددت)، ولا أعرفها^(٤٨).

فقوله: "ولا أعرفها" لا ينافي ورودها، وورودها مع شكِّ اللحياني في معناها يَتملُّ الوجهين، وحملها على معنى (عددت) أقربُ الأمرين. فقولُ صفوان: "أعددت" لا بأسَ به.

أهاجت

(٨) وخطأَ مصطفى الحلبي^(٤٩) في قوله: (أهاجت) مكانَ (هاجت)، حيثُ يقول:

ولا تغنَّتْ على غصنٍ مطوّقةٌ إلا أهاجتُ لي الأشجانَ والأرقا^(٥٠)

قلت: لعلَّ أصلَ البيت:

ولا تغنَّتْ على غصنٍ مطوّقةٌ إلا وهاجتُ لي الأشجانَ والأرقا

فطراً عليه التحريفُ في النسخ، ولا يبعدُ ذلك؛ لاستقامةِ الوزنِ وسلامةِ المعنى، ومع ذلك فلو كانت الروايةُ (أهاجت) فهي صحيحة، ففي القاموس: أهاجه: أيسه.

(٤٤) صفوان بن إدريس التجيبي، الأديب، من الكتاب الشعراء، من مرسية، ت ٥٩٨ هـ. الأعلام ٢٠٥/٣.

(٤٥) يعني (أعددت) بدل (عددت)، كما في الأصل.

(٤٦) لغة الجرائد ص ١٨ - ١٩.

والبيت في نفع الطيب ٦٣/٥.

(٤٧) هذا قول اللحياني. وبعده قول ابن منظور.

(٤٨) لسان العرب ٢٨١/٣، ٤٤٨.

(٤٩) أبو الصفاء مصطفى بن العجمي الحلبي.

(٥٠) لغة الجرائد ص ١٩.

وزادَ في التاج: يقال: أهاجتِ الرياحُ النباتَ إذا أبيضته.

وعليه، فلنا أن نجعلَ الأرقَ في هذا البيتِ عبارةً عن الشجنِ بلازمِ المعنى، فإن الأرقَ الذي هو بمعنى السهرِ في مكروه - على ما نُقلَ عن بعضِ فقهاءِ اللغة - يلزمُ منه الشجن، الذي هو بمعنى الهمِّ والحزن.

وبهذا الاعتبارِ يترادفُ اللفظان، فنسبُهُ مطلقُ الشجنِ بمطلقِ النبات؛ لأن من جملةِ معاني الشجن: الغصنُ المشتبكُ من غصونِ الشجرة.

أو أننا نسبُهُ الشجنَ - الذي هو بمعنى الهمِّ والحزن - بالشجنِ الذي هو بمعنى الغصنِ المشتبك، بجامعِ الاشتباكِ في كلِّ منهما؛ لأن الهمَّ والحزنَ يشتبكان بصاحبهما اشتباكَ الأغصانِ بعضها ببعض.

ثم نسبُهُ المطوّقةَ بالريح، من حيثُ إنّ المطوّقةَ تنغني فتَهيجُ العاشقَ تهيجًا يثيرُ أشجانَه، فيؤدي به إلى ضرره. والريحُ تهبُّ فتحركُ النباتَ تحريكًا يُفضي إلى إتلافه. ألا ترى إلى أنهم يقولون: حمامةٌ هتوف، وريحٌ هتوف؟ يريدون بالأولى كثيرةَ الهتاف، وهو الصوتُ الشديد، أو الصوتُ بقوة. وبالثنائية: الحنّانة. ولا يتأتى ذلك إلا عند شدّةِ الريح.

ولا تقييدَ في المطوّقة، فهي وكلُّ طائرٍ يترنّمُ يستلزمُ إثارةَ الأشجان. قال الشاعرُ العربي:

أأن هتفتَ ورقاءَ ظلتَ سفاهةً تبكي على جملٍ لورقاءٍ هتفتُ^(٥١)

ولذلك عبّرَ بعضهم عن الهتفِ بالبكاء، وهو مما يثيرُ الأحزان، ويؤثّرُ بصاحبِ الأشجان. قال:

ربّ ورقاءٍ هتوفٍ في الضحى	ذات شجوٍ هتفتُ في فنن
ذكرتُ إلقًا وخذنًا صالحًا	فبكتُ حزنًا وهاجتُ شجني
فبكائي ربما أرقّها	وبكائها ربما أرقني
ولقد تشكو فما أفهمها	ولقد أشكو فما تفهمني
غيرَ أني بالجوى أعرفها	وهي أيضًا بالجوى تعرفني ^(٥٢)

(٥١) لجميل بثينة. منتهى الطلب ص ٧٤.

(٥٢) لوعة الشاكي ص ٤٥، مع اختلاف كلمات.

ولا تقييدَ في الريحِ أيضاً، فإن شديدها العاصف، وحرّها القاصف، يضُرُّ بالنبت، فالضررُ في كلِّ من المشبَّه والمشبَّه به لازم، والنزومُ يصحِّحُ التشبيه، كلُّ ذلك بعد أن نريدَ بالأشجانِ صاحبها مجازاً مرسلًا.

وحينئذٍ فلنا أن نقول: أهاجتِ المطوِّقةُ أشجانَ العاشق، أي: صاحبها، بمعنى: أضرتَّ به ضرراً فاحشاً يؤدِّي إلى هلاكه، أو يكاد، كما نقول: أهاجتِ الريحُ النبتَ بمعنى أيبسته. ويستفادُ مما تقرَّر، أن استعمالَ الشاعرِ (أهاج) أولى من استعمالِ (هاج)، لما يترتَّبُ على ذلك من المبالغةِ في المعنى.

مهَاب

(٩) وخطأً سليمانَ بنَ عبدالمملك^(٥٣) بقوله: "أنا الملكُ الشابُّ، السيِّدُ المهَاب"، على ما رواه المسعودي في مروج الذهب^(٥٤).

قلت: إنما نسبَ المعترضُ الخطأً (٥٥) إلى القائلِ من حيثُ إنه توهمَ ضمَّ الميمِ في (المهَاب)، كما يُفهمُ من كلامه في محلِّ هذا الاعتراض.

وحقيقةُ الأمرِ أن اللفظةَ إنما هي بفتحِ الميمِ لا بضمِّها.

ففي القاموس: مكانٌ مهَابٌ ومهوبٌ: يُهابُ فيه. ا. هـ.

قالَ أمية بن أبي عائذ الهذلي^(٥٦):

أجازَ إلينا على بعده مهَاويَ خرقِ مهَابٍ مهَالٍ^(٥٧)

وقد فسَّرَ ابن بَرِّي الأولَ بموضعِ المهابة، والثانيَ بموضعِ الهول.

وفي الصحاح: رجلٌ مهوبٌ، ومكانٌ مهوبٌ. قالَ صاحبُ تاج العروس: وكأنه يعني مهَابًا ومهوبًا. ا. هـ.

(٥٣) الخليفة الأموي (٥٤ - ٩٩ هـ). حكم سنتين وثمانية أشهر. الأعلام ٣/١٣٠.

(٥٤) لغة الجرائد ص ١٨.

(٥٥) في الأصل: الخطاء.

(٥٦) شاعر مخضرم. مدح بني أمية. ت نحو ٧٥ هـ. الأعلام ٢/٢٢.

(٥٧) خزنة الأدب للبغدادي ٢/٣٤.

فأيُّ مانعٍ يمنعُ من أن يكونَ القائلُ محلاً للهيبة، إلا أن يأتينا المعترضُ بالعبارة نفسها، منقولةً عن كتابٍ مضبوطٍ بالشكل، يُوثَّقُ بمن ضبطه، خطأً كان أو طبعاً، وعندئذٍ فإن وجدنا (المهاب) مضبوطاً بضمِّ الميم، سلّمنا ذلك، وإلا، فالحكمُ بالظنياتِ ليس من المسلّماتِ.

القُسس

(١٠) قالَ بعد أن اعترضَ على كتابِ الجرائدِ في قولهم "جماعةُ القُسس بمعنى القُسوس": ولم يمرَّ بنا مثلهُ هذا، إلا قولَ عبدالرحمن الشيرازي:

لو أن ما ذاب منه يجمد لم يصلح لغير العقود والشُنف^(٥٨)

يعني الشُنف، فحذفَ الواوَ لضرورة الشعر، وإن كان المتأخّرُ لا تعذره ضرورة^(٥٩).

قلت: البحثُ في الضرورة الشعرية ليست من خصائصِ هذا المعترض، والحكمُ بكونِ المتأخّرِ لا تعذره ضرورةٌ لا أصلَ له، ولو راجعَ كلامَ العلماءِ في الضرورة الشعرية لرجعَ عن قوله؛ لأن حدَّ الضرورة ما لا يجوزُ في النثرِ على الصحيح، لا ما لا مندوحةً عنه للشاعر، وإلا لما وُجدتِ ضرورةٌ في كلامِ العرب، إذ لا يكادُ الشاعرُ يرومُ خلاصاً من محظورٍ إلا وجدَ إلى ذلك سبيلاً. ولم أدرِ ما الذي قصدهُ من ذكرِ الضرورة منكرة، مع كونها أنواعاً، فهل يا ترى نحكمُ على من قصرَ الممدودَ مثلاً كمن مدَّ المقصور؟

فكان الأولى أن يقول: "وإن كان المتأخّرُ لا تعذره مثلُ هذه الضرورة" مثلاً. على أنه قد وردَ مثلها لأبي تمام الطائي، حيثُ يقول:

حتى لو أنّ الليالي صوّرت لعدت أفعالهُ الغرُّ في آذانها شُنفاً^(٦٠)

أفخطئُ أبا تمام، وهو بطلُ الشعرِ ومجلي حلبته، أم يجبُ أن نقول: إن مثلَ هذا الجمع لم يبلغنا؟

(٥٨) يتيمة الدهر ٣٨٤/٢. والشنوف جمع شنف، وهو القرط.

(٥٩) لغة الجرائد ص ١٩.

(٦٠) شرح ديوان المتنبي للعكبري ٢٢٤/٢.

ولو فرضنا أن هذا الجمع لا أصل له، فما الذي يمنعنا أن نقول: إن الشُّنْفَ في قول كلٍّ من الشيرازي والطائي مفردٌ لا جمع، وإنما حُرِّكَتْ نونه للضرورة الواردة مثلها عن العرب، فقد قال أوس بن حجر^(٦١):

أَبِيَّ لُبَيْبِي لَسْتُ مَعْتَقِدًا لِيَكُونَ أَلَمٌ مِنْكُمْ أَحَدُ
أَبِيَّ لُبَيْبِي إِنْ أَمَّكُمْ أُمَّةٌ وَإِنْ أَبَاكُمْ عَبْدُ^(٦٢)

فقد ضمَّ الباءَ ضرورةً، وإنما أرادَ (عَبْدُ).

فإن قيل: كان يلزم أن يقال بعد العقود: الشُّنْفُ، في بيت الشيرازي، وكذا بعد الآذان في بيت الطائي، وهذا يناه في كون الشُّنْفِ مفردًا؟ قلنا: لا مانع من إرادة الجنس بالمفرد المعرف، فهو قائم مقام الجمع، فاندفع الاعتراض.

استأسر

(١١) وردَّ ما وردَ في تاريخ أبي الفداء، وذلك قوله في حوادث سنة ٦٥٨ هـ: وَقُتِلَ مَقْدَمُهُمْ كَتَبْغَا، وَاسْتُؤْسِرَ ابْنُهُ.

وكذلك ما جاء في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة في الكلام عن الإسكندر: أَصْبَحَ مَسْتَأْسِرُ الْأَسْرَى أَسِيرًا. فالفعل لازمٌ لا متعدِّ^(٦٣).

قلت: إن استعمال (استأسر) متعدِّيًا لا شبهةً فيه، فقد صرَّح بذلك المطرزي^(٦٤)، صاحب كتاب (المغرب)، وأورد عليه حديث عبد الرحمن وصفوان، وهو أنهما استأسرا المرأتين اللتين كانتا عندهما من هوازن^(٦٥).

(٦١) من كبار شعراء تميم في العصر الجاهلي. ت ٢ ق. هـ.

(٦٢) لطرفة، أو أوس بن حجر، كما في مصادر. وينظر معاني القرآن للفراء ١/٣١٥.

(٦٣) لغة الجرائد ص ٢٢.

(٦٤) برهان الدين ناصر بن عبد السيد المطرزي، ت ٦١٠ هـ.

(٦٥) المغرب للمطرزي مادة (أ س ر)، قال: وهو لازمٌ كما ترى، ولم نسمعه متعدِّيًا إلا في حديث عبد الرحمن وصفوان أنَّهما استأسرا المرأتين اللتين كانتا عندهما من هوازن. ا. هـ. =

فهل بعد ما أوردَهُ المطرزي مجالاً للاعتراض؟

لا يخفأك

(١٢) ووهم بعض أكابر الكتاب، كصاحب نوح الطيب، في قوله: "ولا يخفأك حسنُ هذه العبارة"^(٦٦)، وقوله: "ولا يخفأك أنه التزم في هذه القطعة ما لا يلزم"^(٦٧). وسراج الدين المدني^(٦٨) في قوله:

ما الحال؟ قالوا صف لنا فلعن ما بك أن يُزاح
فأجبتُ: ما يخفأكُم حالُ السراج مع الرياح^(٦٩)
وعدَّ ذلك من مثلهما غريباً، بناءً على أن هذا الفعل يعدَّى بـ (على)^(٧٠).
قلت: لا يخفى أن حرف الجرِّ المعدَّى به الفعلُ القاصرُ قد يُحذف، فيبقى مدخوله منصوباً بنزع الخافض. قال الإمام ابن مالك في ألفيته:

وعدَّ لازمًا بحرفِ جرٍّ وإنْ حُذِفَ فالنصبُ للمنجرِّ
نقلًا وفي أنْ وأنْ يُطرَّدُ مع أمن لبسٍ كعجبتُ أن يدؤا^(٧١)
قال ابن عقيل ما ملخصه: الفعلُ اللازمُ يصلُ إلى مفعوله بحرفِ جرٍّ، وقد يُحذفُ فيصلُ إلى مفعوله بنفسه. قال الشاعر:

تمرُّون الديارَ ولم تعوجوا كلامكم عليَّ إذا حرامٌ

= ووقفت على الحديث بلفظ (استسرًا) وليس (استأسرا)، والأول مشتق من التسرّي، ويقال للمرأة: السُرّيّة، وهي التي يُسرّى بها، فتملّك عن طريق الغنيمة وتُنكح بملك اليمين. ينظر تخريج مشكل الآثار (رقم ٤٥١٠) وفيه أن إسناده ضعيف.

وقد وردت كلمة (استأسر) في أحاديث أخرى، تحتاج إلى تخريج.

(٦٦) نوح الطيب للمقري ٥٨/٤.

(٦٧) نوح الطيب ٤٤٤/٧. وكلامه فيه: ولا يخفأك أنه التزم في هذه القطعة ما لا يلزم من اللام قبل الياء.

(٦٨) سراج الدين أحمد المدني، المعروف باليتميم.

(٦٩) أنوار الربيع ص ٣٧٨.

(٧٠) لغة الجرائد ص ٢١ - ٢٢.

(٧١) ألفية ابن مالك ص ٢٨.

أي: تمرُّون بالديار.

ومذهبُ الجمهورِ أنه لا ينقاسُ حذفُ حرفِ الجرِّ مع غيرِ (أَنَّ) و(أَنَّ)، بل يقتصرُ فيه على السماع.

وزهبَ أبو الحسنِ عليُّ بنُ سليمانَ البغداديُّ^(٧٢) إلى أنه يجوزُ الحذفُ مع غيرهما قياسًا، بشرطِ تعيُّنِ الحرفِ، ومكانِ الحذفِ. ا. هـ^(٧٣).

وليس ما ذُكِرَ في عبارةِ صاحبِ نفعِ الطيبِ وكلامِ سراجِ الدينِ ما يوجبُ اللبسَ؛ لتعيُّنِ الحرفِ ومكانِ الحذفِ في كلِّ ذلك، فكلامُهما حينئذٍ صحيحٌ جائز. على أن مثلَ ذلك لا يكادُ يخلو من عبارةِ كاتب. فلم يبقَ للمعتزِّ إلا تخطئةُ أبي الحسنِ عليِّ بنِ سليمان، وهو الأَخفشُ الأصغر، تلميذُ ثعلبِ المدرِّد.

مفسود وانفساد

(١٣) قال: ويقولون: رجلٌ مفسودٌ السيرة، وقد انفسد، وكلاهما خطأ؛ لأن (فسدَ) لازم، فلا يُصاغُ للمجهول، ولا يُبنى له مطاوع. وقد وقعَ مثلُ هذا للحريري في مقامتهِ الحجرية^(٧٤)، حيثُ يقول: "أما إنك لو ظهرتَ على عيشي المنكدر، لعذرتَ في دمعي المنهمر"^(٧٥). قال الشارح: المنكدر: المتغيَّر، والكدورة: ضدُّ الصفاء^(٧٦).

ثم أوردَ المعتزُّ ما حكوا في هذه الكلمةِ نقلًا عن اللسان، مما لا يصرِّحُ بأن معنى المنكدر: المتغيَّر^(٧٧).

قلت: قوله: "وقد وقعَ مثلُ هذا للحريري" ليس من الصوابِ في شيء، إذ لا مماثلةٌ بين المنفسدِ في عبارةِ الكتاب، والمنكدرِ في عبارةِ الحريري؛ لأننا لو فتَّشنا كتبَ اللغةِ لوجدنا (انكدر) ولم

(٧٢) وهو الأَخفش الصغير، كما في المصدر الآتي.

(٧٣) شرح ابن عقيل على الألفية ٢/١٥٠ - ١٥١.

(٧٤) وهي المقامة السابعة والأربعون.

(٧٥) مقامات الحريري ص ٥١٩.

(٧٦) شرح مقامات الحريري للشريشي ٣/٤١٣.

(٧٧) لغة الجرائد ص ٢٥.

نجد (انفسد)، فلا مماثلة حينئذ، إلا أن يكون قد أراد المماثلة من حيث مطلق الخطأ في الاستعمال.

وعلى هذا فنقول: لا خطأ في قول الحريري، ولا في تفسير الشريشي أيضاً. ففي التاج على القاموس: ومن المجاز: انكدر يعدو: أسرع بعض الإسراع. وفي الصحاح: أسرع وانقض، ومنه قول العجاج^(٧٨) في صفة البازي:
أبصرَ خربانَ فضاءٍ فانكدر^(٧٩)

ومن المجاز: انكدر عليه القوم: انصبوا أرسالاً. وفي البصائر: أي: قصدوا متناثرين عليه، قال: ومنه قوله تعالى: {وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ} ^(٨٠). ا. هـ. هكذا ممزوجاً بالأصل^(٨١).

وعليه: فإن شئت فشبّه العيش الضيق المتكدر الذي يقتضي العناء بعد كونه واسعاً صافياً يقتضي الهناء، بمن أسرع إسراراً يستلزم المشقة والنصب بعد كونه ساكناً أو متحركاً بحركة بطيئة تستلزم الراحة وتنافي التعب، واستعمل (انكدر) للعيش استعماله للسائر دون العدو، وفسر الانكدار بالتغير على سبيل الزوم، والتفسير باللازم صحيح.

وإن شئت فشبّه العيش الديء بالطائر المنقضّ بجامع السقوط في كلٍ منهما، وكلما سقط لزم منه التغير ولو من وجه. فالمنكدر بمعنى التغير صحيح أيضاً.

ولك أن تنزل العيش المتبدد شمله منزلة النجوم المتناثر جمعها. والتغير في ذلك لازم كذلك. فقول كل من الحريري والشريشي صحيح.

وأما قول الشارح: "والكدورة ضد الصفاء"، بعد تفسيره المنكدر بالمتغير، فلعل فيه إشارة إلى أنه ربما خفي معنى المنكدر على القارئ، لعدم تصريح كتب اللغة بأن معناه المتغير، الذي هو تفسير باللازم، فغلب من أجل ذلك على ظنه أن في المنكدر تصحيحاً في النسخ، وأن أصله

(٧٨) الشاعر عبدالله بن روبة السعدي التميمي، ت ١٤٥ هـ.

(٧٩) تَقْضِي البازي إذا البازي كَسَرَ أبصرَ خربانَ فضاءٍ فانكدر

تاج العروس مادة (خرب).

(٨٠) سورة التكوير: ٢.

(٨١) تاج العروس مادة (كدر).

المتكدر، بالتاء المثناة الفوقية، ففسر الكدورة بضدّ الصفاء؛ لاحتمال التصحيف، وإمكان التحريف.

ولو لاحظَ المعارضُ هذه النكتةَ لما توهمَ أن المنكدرَ مطاوعٌ كدر، على ما يُفهمُ من قوله: "وقد وقعَ مثلُ هذا للحريري".

أنفتها

(١٤) وخطأً لسانَ الدينِ بنِ الخطيبِ^(٨٢) في قوله:

قالوا لخدمتهِ دعاكَ محمدٌ فأنفتها وزهدتُ في التنويه^(٨٣)

يريدُ المعارضُ أن (أنفَ) فعلٌ قاصرٌ يعدى بـ (من) لا بنفسه^(٨٤).

قلت: استعمالُ مثلِ هذا الفعلِ متعدّيًا بنفسه هو من بابِ الحذفِ والإيصالِ، وقد ثبتَ فيما سبقَ بيانُ جوازه، ومع ذلك فيجوزُ تضمينُ (أنفَ) معنى كرهه، الذي هو معناه الحقيقي، كما في اللسان، فقد قالَ فيه: أنفَ من الشيءِ أنفًا إذا كرههُ وشرفتُ عنه نفسه. ا. هـ. وعلى كلا الحالينِ فالتعبيرُ صحيحٌ، والمعنى صحيحٌ.

تعافيتها

(١٥) ووهمَ الشريشيُّ بتفسيرِ (تعافيتها) من قولِ الحريري:

ولو تعافيتها لحالتُ حالي ولم أحوِ ما حويتُ^(٨٥)

بمعنى تكارهاؤها^(٨٦).

(٨٢) ذو الوزارتين لسان الدين محمد بن عبد الله بن الخطيب، الكاتب الشاعر المؤرخ الأندلسي المشهور، ت ٧٧٦ هـ.

(٨٣) نفع الطيب ٧٨/٥.

(٨٤) لغة الجرائد ص ٢٢.

(٨٥) مقامات الحريري ص ٥٦.

(٨٦) شرح مقامات الحريري ١٥٦/١.

وقال: الأشبه أن الحريريَّ أرادَ بقوله: تعافيتها: تجاوزتها، وكأنه أخذَ هذا اللفظَ من عبارة الحديث "تَعَاَفُوا الحُدُودَ فيما بينكم"^(٨٧)، أي: تجاوزوا عنها ولا ترفعوها إليّ، كما ذكرَ في النهاية^(٨٨). وفي ذلك ما فيه^(٨٩). (يعني أن في تفسير الحديث ما فيه).

قلت: قالَ في مستدرك التاج: والتعافي: التجاوز^(٩٠).

وعجيبٌ من مثل هذا المعترض أن يترك عبارة كتب اللغة ويأخذ بما في غيرها، فكأنه لم يطلِّع على هذه الكلمة، وهو الذي صرفَ غاليَ عمره في مطالعة اللغة، على ما هو المسموعُ عنه. والذي يستفادُ من ظاهرِ الحال، أن الذي حملهُ على أن يقولَ - أي: الحريري - : أخذَ هذا اللفظَ من عبارة الحديث، إنما هو إظهاره لكلِّ من وقفَ على كلامه هذا، أن الحريريَّ أيضًا لم يطلِّع على هذا اللفظِ في كتب العربية، فأخبرَ أنه قد عرفَ من أين أخذَ الحريريُّ هذه الكلمة، ظنًّا منه أن في ذلك دليلًا على كثرة اطلاعه وطول باعه.

أو أنه أرادَ التنكيثَ الذي يعودُ عليه بالتبكيث، فأتى بالكلمة من الحديث الشريف ليصرِّحَ بأن في تفسير ذلك الحديث ما فيه مما وصلَ إليه فهمه.

وكم من عائبٍ قولًا صحيحًا وآفته من الفهم السقيم

تركيب نحوي

[واراه، خلده]

(١٦) وبعد أن خطأ كتاب الجرائد في قولهم: "واروا الميت التراب"، قال: وقد وردَ مثلُ هذا للحريريِّ في مقامته الكوفية، وهو قوله: "وخلدوها بطون الأوراق"^(٩١)، وكان الذي سوَّلَ له صحة هذا التركيب ما جاء في سورة يوسف، من قوله: {اطرْحُوهُ أَرْضًا}^(٩٢).

(٨٧) رواه أبو داود (٤٣٧٦)، والنسائي (٤٨٨٦)، وصححه في صحيح الجامع (٢٩٥٤).

(٨٨) النهاية في غريب الحديث ٢٦٥/٣.

(٨٩) لغة الجرائد ص ٢٣.

(٩٠) تاج العروس ٧٥/٣٩.

(٩١) مقامات الحريري ص ٥٤.

(٩٢) سورة يوسف: ٩.

وهذا فضلاً عن كونه من التراكيب التي لا يُقاسُ عليها، فإنما سهلَ له هذا الاستعمال فيه تنكيرُ الأرضِ وتجريدها من الوصف، كما قالَ الزمخشري، فنصبتُ نصبَ الظروفِ المبهمة^(٩٣). وقيل: إنها مفعولٌ ثانٍ لـ {أَطْرَحُوهُ}، على تأويله بمعنى أنزلوه، وكلاهما على ما فيه لا يصحُّ في عبارة الحريري^(٩٤).

قلت: إن قولَ الحريري: "وخلِّدوها بطونَ الأوراقِ" صحيح، على تضمينِ "خلِّد" معنى "أدخل"، أو ما في معناه مما يتعدَّى إلى المفعول الثاني دونَ واسطةِ حرفِ جرّ. وقولُ المعترض: "وكأن الذي سَوَّلَ له صحَّةُ هذا التركيبِ ما جاءَ في سورةِ يوسف، من قوله: {أَطْرَحُوهُ أَرْضًا}" لم يفهم منه أن الضميرَ راجعٌ إليه تعالى؛ لأننا لو راعينا القاعدةَ النحويةَ لما رجَعَ الضميرُ إلا إلى يوسف، وليس الأمرُ كذلك؛ لأن الضميرَ إنما هو راجعٌ إليه تعالى فيما قاله حكايةً عن إخوةِ يوسف.

وقوله: "وهذا فضلاً عن كونه من التراكيب التي لا يُقاسُ عليها" لا أصلَ له، فإن كلامه عزَّ وجلَّ أفصحُ الكلامِ وأبلغه، وأحسنُ ما يُقاسُ عليه، فهو القاعدةُ الكبرى، والشاهدُ الأعظمُ لكلِّ من نثرَ أو نظم، كتبَ أو تكلم.

وأما قوله: "وكلاهما على ما فيه لا يصحُّ في عبارة الحريري"، يعني بذلك كلا التفسيرين، فإنه من المعترضِ دعوى عريضة. على أني أعملتُ الفكرَ في فهم ما ظهرَ له في ذلك، فلم يبدُ لي شيءٌ وجيه، ولا بدع، فربما فهمَ الحدادُ من صناعةِ الجوهريِّ ما لا يتبادرُ للجوهريِّ فهمه مطلقاً، إلا أن الأولَ بالنسبةِ إلى الثاني كالصيرفيِّ بالنسبةِ إلى الصرفيِّ، والفرقُ بينهما غيرُ خفي^(٩٥).

(٩٣) لفظه عند تفسير الآية في الكشاف: أرضاً منكورة مجهولة بعيدة من العمران، وهو معنى تنكيرها وإخلائها من الوصف، وإلزامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة.

(٩٤) لغة الجرائد ص ٣٤ - ٣٥.

(٩٥) قال أخي الأستاذ بهاء الدين عبدالرحمن: يعني أن الحداد - وإن علم من صناعة الجواهر ما قد يخفى على الجوهري مما يتصل بصياغة الجواهر في أشكال معينة - لا يعلم قيمة الجواهر ومعرفة الحقيقي منها والزائف مثل الجوهري، كما لا يعرف الصيرفي علم الصرفي.

والتشبيه التمثيلي هنا ليس مطابقاً، فالصيرفي بالنسبة للصرفي لا يماثل الحداد بالنسبة للجوهري، فلا يوجد شيء مشترك بين الصيرفي والصرفي، أما الحداد فيوجد شيء مشترك بينه وبين الحداد، وهو صياغة المعادن في أشكال معينة. =

خربه

(١٧) وعابَ لسانَ الدينِ بنِ الخطيبِ في قوله عند ذكرِ الغارةِ على جِيَانٍ^(٩٦): ففللنا ثانيةً غرَبَها، وجددنا كربها، واستوعبنا حرقها وخرَبَها".
قالَ المعترض: وإنما يقال: أخرجَ المكانَ أو خربَهُ بالثقل، ولا يقالُ له خربَهُ بالمجرد^(٩٧).
قلت: قوله: "ولا يقالُ خربَهُ بالمجرد" لا أصلُ له. ففي القاموس: وخرِبَهُ خربَ خربتَه، وثقَبَهُ أو شقَّهُ، وفلانٌ: صارَ لَصًّا، والدارُ: خربَها كأخرَبَها.
وهذا نصُّ صريحٌ بأنه يقال: "خربَ المكانَ" بالمجرد، كما يقالُ خربَهُ بالثقل، وأخرِبَهُ بالألف.

مثبت، [مفسود]

(١٨) وأخذَ على أبي الفداء^(٩٨) بقوله في مقدمة تاريخه: "فصارَ المثبوتُ في الجدولِ كذا وكذا سنة"^(٩٩).
قالَ المعترض: مع أنه - يعني أبا الفداء - يقولُ في السطرِ الذي قبله: "وهو الذي اخترناه وأثبتناه في جدولنا هذا".

= وقال ولدي صهيب - وقد راجع الكتاب -: قد يكون التشبيهان منفصلين، بمعنى أنه أراد تشبيه الحداد بالصيرفي (بجامع أنهما يبيعان قطعًا ليست دقيقة الصناعة جدًّا من الحديد وغيره)، ثم أراد تشبيه الجوهرى بالصيرفي (بجامع أنهما دقيقان في عملهما ومتعمقان في التفاصيل والتراكيب).

(٩٦) من مدن الأندلس.

(٩٧) لغة الجرائد ص ٤٠.

(٩٨) الملك المؤيد، صاحب حماة، أبو الفداء إسماعيل بن علي الأيوبي، مؤلف التاريخ المشهور بتاريخ أبي الفداء، وهو المختصر في أخبار البشر، ت ٧٣٢ هـ.

(٩٩) الموجود في ص ٦ من مقدمته - طبعة المطبعة الحسينية بمصر - "المثبت"، وليس "المثبت"، وهو ما توقعه مؤلف هذا الكتاب، كما يأتي.

وأخذَ عليه أيضًا في قوله في هذه المقدمة: "وأما التوراة العبرانية فهي أيضًا مفسودة" (١٠٠)(١٠١). قلت: من أين لهذا المعترض أن يأخذَ على أبي الفداء في مثل ذلك؟ فإنه لا يسلمُ عاقلٌ أن أبا الفداء يقول: "أثبتناه"، ثم يقول: "المثبوت"، قبل أن يجفَّ قلمه، أو يمسكُه عن تحريرِ عبارةٍ تقاربَ فيها اللفظان دونَ أن يتحوَّلَ فكرُه عن الصدِّ الذي سيقَتُ فيه العبارة. فكانَ الأجدُرُ بالمعترضِ أن يحملَ ذلك على التغييرِ في النسخ، فإن التحريفَ متحققٌ في كثيرٍ من الكتبِ المخطوطةِ والمطبوعةِ.

فلا يسوغُ عقلاً نسبةً ذلك إلى المؤلفين يقينًا، خصوصًا إذا كانوا من مشاهيرِ الكتَّابِ، كأبي الفداء.

فلو فرضنا أن أحدًا جاءَ إلى المعترضِ بهذه العبارةِ نفسها، وهي بخطُّ المؤلفِ مثلاً، فرآها رأيَ العين، لما اعتقدَ أن أبا الفداء ممن يستعملُ (المثبوتَ) مكانَ (المثبتِ)، ولا (المفسودةَ) مكانَ (الفاسدةَ)، بل كانت تضطرُّه حرفةُ الأدبِ وسلامةُ الذوقِ إلى أن يلتمسَ له كلَّ عذرٍ يمكنُ التماسه، كأنَّ يقول: هذا سهو، أو سبقُ قلم، أو ما أشبه ذلك، مما يمكنُ صدوره عن غيرِ تعمُد، فما بالكَ فيما لو كانتِ العبارةُ مطبوعةً عن نسخةٍ مطبوعة، أو مخطوطةٍ بخطِّ غيرِ المؤلف، أيجوزُ - والحالةُ هذه - نسبةً ما في ذلك من التغييرِ والتبديلِ لنفسِ المؤلف، أم يجبُ أن يُنسبَ ذلك إلى النساخِ وأربابِ المطابعِ؟

متعوب

(١٩) وأخذَ على ما رواه صاحبُ (خزانة الأدب) لأبي عبد الله بن الحجاج (١٠٢)، وهو قوله:

خرقتَ صفوفهم بأقْبَ نهدٍ
مراحِ الصوتِ متعوبِ العنانِ (١٠٣)

(١٠٠) مقدمته ص ٤. وهذه العبارة موجودة في مقدمة تاريخ مجير الدين العليمي "التاريخ المعترف في أبناء من غير"، ص

٥ أيضًا، ويكون نقلها من نسخة من تاريخ أبي الفداء، وفوفاته سنة ٩٢٧ هـ.

(١٠١) لغة الجرائد ص ٤٠.

(١٠٢) أبو عبد الله حسين بن أحمد بن الحجاج النيلي البغدادي، شاعر فحل، في شعره مجون وسخف، من كتَّاب

العصر البويهى، ت ٣٩١ هـ. الأعلام ٢/٢٣١.

(١٠٣) الأقب من الخيل: الضامر. النهدي: السريع القفز. مراح السوط: مدهونه، وذلك ليصير أشد لسعًا. متعوب

العنان: عنانه تعب لسرعته. خزانة الأدب وغاية الأرب ٢/٢٦١، الهامش، بتحقيق عصام شقيو.

قال: والصواب: متعَب^(١٠٤)(١٠٥).

قلت: الأصل في هذا الاعتراض قولُ صاحبِ القاموس: وهو تَعِب، ومُتَعَب، لا متعوب. وذلك كما قال الشارح: لمخالفةِ السماعِ والقياس. وقيل: بل هو لحن؛ لأن الثلاثيَّ لازم، واللازم لا يُبنى منه المفعول. كذا قاله شيخنا. كذا في التاج^(١٠٦).

فالذي يُفهم من ذلك أنه لا يقالُ متعوبٌ في النثرِ مطلقاً، ولا في الشعرِ حالة الاختيار. وعليه، فالضرورةُ هي التي سهَّلت للشاعرِ هذا الاستعمال.

[موثوق]

(٢٠) وأخذَ على عديِّ بن زيد العبادي من أهل الجاهلية^(١٠٧) في قوله:

ويلومون فيك يا ابنة عبد ال لله والقلبُ عندكم موثوق^(١٠٨)

قال: يريد (موثوق)، وإنما وقع له ذلك لأنه كان قروياً، كما ذكر الأصفهاني في ترجمته، قال - يعني الأصفهاني - : "وقد أخذوا عليه في أشياء عيب فيها"^(١٠٩).

قلت: لا مانع من قياس ذلك على قولهم: رجلٌ مبغوض، فإن (مبغوضاً) لم يُسمع، ولو سُمع لكان على الحذف والإيصالِ كمشترك، كلُّ ذلك، فضلاً عن كون اللفظ المذكور وارداً في شعرٍ من يستشهد بشعره. هذا إذا صحَّت رواية البيت هكذا، وما أحسبها صحيحة؛ لأني وجدتُ هذا البيتَ مذكوراً في كثيرٍ من الكتبِ المصحَّحة هكذا:

ويلومون فيك يا ابنة عبد ال لله والقلبُ عندكم موثوق^(١١٠)

(١٠٤) خزانة الأدب وغاية الأرب ٢/٢٦١.

(١٠٥) لغة الجرائد ص ٤٠.

(١٠٦) تاج العروس مادة (تعب).

(١٠٧) شاعر من تميم، من أهل الحيرة. ت نحو ٣٥ ق هـ. الأعلام ٤/٢٢٠.

(١٠٨) الحماسة البصرية ٢/١٩٦.

(١٠٩) لغة الجرائد ص ٤٠ - ٤١.

(١١٠) مثل خزانة الأدب للبغدادي ٩/٤٤٨، ودرة الغواص ص ٢١٦. وموهوق بمعنى محبوس.

فتأمل من المعترض أن يبيّن لنا اسم الكتاب الذي نقل عنه هذا البيت، والقافية فيه (موثوق) لا (موهوق). وإن كان راوياً له فلينبئنا عمّن روى، فحينئذٍ تظهر الحقيقة، ويؤول الريب.

خفرها

(٢١) وعاب قول الشاعر:

خفرت بسيف الغنج ذمّة مغفري
وفرت برمح القديّ درع تصبّري^(١١١)
قال بعد أن نسب هذا البيت لابن هانئ^(١١٢): وإنما يقال: أخفر ذمته، أو خفر بها، ولا يقال: خفرها^(١١٣).

قلت: ليس البيت لابن هانئ، وإنما هو لابن معتوق^(١١٤)، على ما هو المشهور والمطبوع في ديوانه.

وقوله: "لا يقال: خفرها" يعني الذمّة، غير مسلّم، فقد قال الشاعر:

فواعدي وأخلف ثم ظني وبئس خليفة^(١١٥) المرء الخفور
قال في اللسان: وهذا من خفر ذمته خفوراً. وهو نص صريح بأنه يقال: "خفر ذمته". فسقط الاعتراض^(١١٦).

تعرف عليه

(٢٢) قال: ويقولون: تعرف على فلان، إذا أحدث به معرفة. وهو من التعبير العامي.

(١١١) لابن معتوق. نفع الأزهار ص ٤٣.

(١١٢) الشاعر الأندلسي أبو القاسم محمد بن هانئ الأزدي، ت ٣٦٢ هـ.

(١١٣) لغة الجرائد ص ٤٠.

(١١٤) شهاب الدين بن معتوق الموسوي، شاعر بليغ من البصرة، جمع ديوانه ابنه معتوق، ت ١٠٨٧ هـ. الأعلام ١٧٨/٣.

(١١٥) في الأصل (خليفة)، وتصحيحه من اللسان وغيره.

(١١٦) لسان العرب مادة (خفر).

ومن الغريب أن أصحاب اللغة لا يذكرون ما يعبر به عن هذا المعنى، لكن جاء في كتب المولدين: تعرّف به، معدّي بالباء. وهو مبني على قولك: عرّفته به إذا جعلته يعرفه، على ما يؤخذ من عبارة المصباح.

وقد ورد مثل هذا في (الأغاني)، في أخبار عبادل ونسبه، وهو قوله: "فحرّكت ركايب^(١١٧) لأتعرّف بهنّ وأنشدهنّ"، إلى آخر ما قال، مما يشبه هذا المثال^(١١٨).

قلت: من الغريب أن المعترض لم يطلع على ما يعبر به عن هذا المعنى في كتب اللغة، على أنه جاء في مستدرک التاج: وتعرّف إليه: جعله يعرفه. ا. هـ^(١١٩).

وفي التاج أيضاً: واعترف إليّ: أخبرني باسمه وشأنه، كأنه أعلمه به. ا. هـ. هكذا ممزوجاً بالأصل^(١٢٠).

وفي اللسان: أتيت متنكراً ثم استعرفت، أي: عرّفته من أنا. ا. هـ.

فقوله: "إن أصحاب اللغة لا يذكرون - يعني لم يذكروا - ما يعبر به عن هذا المعنى" غير صحيح.

الحشا

(٢٣) وأخذ على ابن نباتة^(١٢١) في تأنيته (الحشا)، حيث يقول:

(١١٧) في المصدر (لغة الجرائد): بعيري.

(١١٨) لغة الجرائد ص ٤٣.

(١١٩) تاج العروس ١٥٢/٢٤. وجاء بعده: عرّف طعامه: أكثر إدامه، وعرّف رأسه بالدهن: روّاه. ا. هـ.

"تعرف عليه" المستخدمة اليوم ليست مثل "تعرف إليه" التي في المعاجم، فالمقصود من قولنا اليوم: "تعرفت عليه" هو "عرفته"، تعرفت على محمد في العمل: عرفت في العمل، تعرفنا على بعضنا: عرف بعضنا بعضاً. أما "تعرفت إليه" فمعناها: عرفت نفسي إليه؛ فجعلته يعرفني، بمعنى: قدمت نفسي إليه لكي يعرفني فعرفني، وهذا واضح من الحديث المشار إليه في النظم آخر الكتاب "تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة". فأقرب شيء إلى معنى "تعرفت عليه" هو: "تعرفته" بلا حروف جر. (صهيب يوسف).

(١٢٠) تاج العروس، مادة عرف - اعترف.

(١٢١) الشاعر الأديب محمد بن محمد بن نباتة الجذامي المصري، ت ٧٦٨ هـ.

فعييت بالإيجاب والسلب^(١٢٢)

وسلبت ليّ والحشا وجبت

وعلى ابن الفارض^(١٢٣) كذلك في قوله:

وما كنت أدري ما أُجِنُّ وما الذي حشاي من السرِّ المصونِ أكتت^{(١٢٤)(١٢٥)}

قلت: لا يخفى أن الحشا في اللغة هو ما دون الحجاب، مما في البطن من كبدٍ وطحالٍ وكرشٍ وغير ذلك، فهو باعتبار كونه عبارةً عن شيءٍ دون الحجابٍ مذكّر، وباعتبار أن ذلك الشيء عبارةٌ عن أقسامه المذكورة مؤنث. وعليه، فلا مانع من تأنيث الحشا في قول كلٍّ من ابن نباتة وابن الفارض.

ثم لو كان ابن الفارض ممن فاتته أن الحشا مذكّر في الأصل، لما ذكره في قوله:

زدني بفرط الحبِّ فيك تحيُّراً وارحم حشّاً بلطى هواك تسعراً

فقد أعاد الضمير عليه مذكّراً.

وجمع بين الأمرين في قوله:

أو حشاً^(١٢٦) سألٍ ولا اختارها إن تزوا ذاك بها منّا عليّ^(١٢٧)

فوصف الحشا بقوله: (سأل) على صيغة التذكير، وأرجع الضمير إليه مؤنثاً، في قوله: "ولا اختارها"، فافهم.

(١٢٢) ديوان ابن نباتة المصري ص ٣٣.

(١٢٣) عمر بن علي بن الفارض الحموي المصري، الشاعر المتصوف، في شعره فلسفة تتصل بوحدة الوجود. ت ٦٣٢ هـ. الأعلام ٥/٥٥.

(١٢٤) من تائبة ابن الفارض المعروفة. والجنّ: ستر الشيء عن الحاسّة. والحشا: أعضاء الإنسان وقواه الباطنة. والمصون: المحفوظ جدّاً، من الصون. والكنّ: ما يحفظ به الشيء. منتهى المدارك في شرح تائبة ابن الفارض ١/١٨١.

(١٢٥) لغة الجرائد ص ٤٤.

(١٢٦) في الأصل: وحشا. وتصحيحه من المصدر الآتي وغيره.

(١٢٧) سال: من السلوّ. كأنه يقول: أتمنى منكم عين ماء أبكي بها بعد نفاذ دمي، وإنما كان الدمع منية لأن البكاء يخفف ألم الحزين. شرح ديوان ابن الفارض، لابن غالب ١/٧٠.

مثنائي

(٢٤) وأخذَ على البديع الهمداني^(١٢٨) في قوله:

ولي جسدٌ كواحدةٍ المثنائي ولي كبدٌ كثلاثةٍ الأثافي^(١٢٩)

قال: وإنما المثنائي جمعٌ مثنى، وهو الوترُ الثاني من أوتارِ العود، فصوابه: كواحدِ المثنائي^(١٣٠).
قلت: تُحمَلُ واحدةُ المثنائي في هذا البيتِ على القطعةِ الواحدةِ من المثنائي، وحينئذٍ فالتعبيرُ
فصحيح، والمعنى صحيح.

من الضرورات

[دمنة]

(٢٥) وأخذَ على أبي تمام الطائي في قوله:

لعدلتُهُ في دمنتينِ تقادما محوَّتَيْنِ لزينبِ وسعادِ^(١٣١)

قال: يريدُ تقادمتا، وهو من الضروراتِ التي لا تباحُ للشاعر^(١٣٢).
قلت: لا مانعٌ من حملِ الدمنتينِ في البيتِ على معناهما، أي: لعدلتُهُ في أثرينِ تقادما. ثم يراعى
اللفظُ في قوله: محوَّتَيْنِ.

تذكير العين، والقدم، والكفِّ، والرحى، والقباطي

(٢٦) وعابَ المأمونيَّ - من شعراءِ اليتيمة^(١٣٣) - في قوله:

(١٢٨) بديع الزمان أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمداني، الأديب والكاتب اليمني المشهور، ت ٣٩٥ هـ.

(١٢٩) مجمع الأمثال ٢٨٧/١. وذكر الميداني أن القصد من ثلاثة الأثافي: القطعة من الجبل.

(١٣٠) لغة الجرائد ص ٤٤.

(١٣١) المرشد إلى فهم أشعار العرب ٢١١/٣. وآخره فيه وفي غيره (رباب). قال مؤلفه: وقول (تقادما) ردٌّ فيه الفعل على معنى الطلل، وإلا لزمه تأنيته. ا. هـ. والدمنة: الطلل، أو ما يتركه الناس من أثر عندما ينزلون منزلاً.

(١٣٢) لغة الجرائد ص ٤٤.

(١٣٣) أبو طالب عبدالسلام بن الحسين المأموني. أديب شاعر، من أولاد الخليفة المأمون. أقام ببخارى، ت ٣٨٣ هـ.

يتيمة الدهر ١٨٣/٤، ١٩٥.

من تحته عينانٍ مذ دُ انفتحا ما انطبعا^(١٣٤)

أي: انفتحتا وانطبقتا^(١٣٥).

قلت: يراؤُ بالعينين في قولِ المأموني: الطرّفان. قالَ صاحبُ المصباح في الكلامِ على قولِ الشاعر:

والعينُ بالإثمدِ الحارِبيِّ مكحولُ^(١٣٦)

إنما ذكّرَ مكحولًا لأنه بمعنى كحيل، وكحيل: فعيل، وهي إذا كانت تابعةً للموصوفِ لا يلحقها علامةُ التأنيث، فكذلك ما هو بمعناها.

وقيل: لأن العينَ لا علامةً للتأنيثِ فيها، فحملها على معنى الطرّف. والعربُ تجترئُ على تذكيرِ المؤنثِ إذا لم يكن فيه علامةُ تأنيث، وقامَ مقامه لفظُ مذكّر. حكاةُ ابن السكيت، وابنُ الأنباري، وحكى الأزهريُّ قريبًا من ذلك^(١٣٧).

(٢٧) واعترضَ على البُستي^(١٣٨) في قوله:

إلى حتفي مشى قدمي أرى قدمي أراق دمي^(١٣٩)

بتذكيرِ الضميرِ العائدِ على القدم، في قوله (أراق).

قالَ المعترض: وإنما أوقعه في هذا طلبُ التجنيسِ بين (أرى قدمي) و(أراق دمي). وقد تبعه في هذا ابنُ حجة الحموي، حيث يقول من بديعته:

(١٣٤) يتيمة الدهر ٢١٧/٤.

(١٣٥) لغة الجرائد ص ٤٥.

(١٣٦) إذ هي أحوى من الرّبعيِّ حاجبهُ والعينُ بالإثمدِ الحارِبيِّ مكحولُ

لطفيل الغنوي. وورد في الأصل (الخازي) بدل (الحاري). ولم أره باللفظ المذكور، والمثبت من مصادر عديدة، نسبة إلى الحيرة، على غير قياس، كما أفاده صاحب شرح الشواهد الشعرية ٣٠٧/٢.

(١٣٧) ينظر كتاب المذكر والمؤنث لأبي بكر بن الأنباري ٣٦٢/١، وأمثلة في الموضوع كتاب فقه اللغة للثعالبي ص ٢٣٠.

(١٣٨) أبو الفتح علي بن محمد البستي، من بُست، من الشعراء الكُتّاب المجيدين، ت ٤٠٠ هـ.

(١٣٩) يتيمة الدهر ٣٧٣/٤.

ورمت تليفق صبري كي أرى قدمي يسعى معي فسعى لكن أراق دمي^(١٤٠)(١٤١)
قلت: لا بأس بحمل القدم في قول كل من البستي والحموي على الأخص، كما حمل الأخص
على القدم في كثير من المواضع.

(٢٨) وعاب صفي الدين الحلبي بقوله:

فقلبي بإحسانكم فارغ وكفي بإنعامكم ممتلي

قال: فذكر الكف، ولم تُسمع كذلك، إلا في بيت تألوه.

ومثله قول ابن نباتة في المناظرة بين السيف والقلم: أين أنت من حظي الأسنى وكفي الأغنى^(١٤٢).

قلت: يراذ بالكف في قول كل من الحلبي وابن نباتة: الساعد، أو العضو.

قال في المصباح: وقولهم: كف مخضب، على معنى ساعد مخضب. لكن قال ابن الأنباري: باب
ذلك الشعر.

وحمله الثعالبي في قول الشاعر:

أرى رجلاً منهم أسيفاً كأنما يضم إلى كشحيه كفاً مخضباً

على العضو، وهو مذكّر^(١٤٣).

(٢٩) وأخذ على لسان الدين بن الخطيب في قوله:

في أشهر عشرة طحنتهم فيا رحي الشوم والبوارِ دُر^(١٤٤)

قال: وفيه إما تذكير الرحي وهي مؤنثة، أو حذف الواو من قوله (دُر)؛ لأن عين الأجوف لا
تحذف من أمر الأنتى^(١٤٥).

(١٤٠) خزنة الأدب وغاية الأرب لابن حجة ١/٦٧.

(١٤١) لغة الجرائد ص ٤٥.

(١٤٢) لغة الجرائد ص ٤٥.

(١٤٣) فقه العربية وسر اللغة ص ٢٣٠. وهو للأعشى. والأسيف: الغاضب. والكشح: ما بين الضلوع والخاصرة.

يقول: كأن يده فطعت فاحتضبت بدمها فيغضب لذلك. تهذيب اللغة ١٣/٦٦.

(١٤٤) نفع الطيب ١/٥٤١.

(١٤٥) لغة الجرائد ص ٤٥.

قلت: هذا الاعتراضُ ليس من الصوابِ في شيء، فلا تذكيرَ فيه للرحى كما توهم، ولا حذفَ للواوِ أيضاً، والبرهانُ على ذلك أن لسانَ الدينِ أرادَ بقوله "دُر" الرجلَ المخاطَبَ، المشبَّهَ برحى الشؤمِ والبوارِ تشبيهاً بليغاً، ولم يُردِ الرحى نفسَها. والذي يشهدُ بصحةِ ذلك قوله قبلَ هذا البيتِ من قصيدةٍ طويلةٍ تضمنتْ هجاءَ المخاطَبِ، وهو:

يا بغلَ طاحونةٍ يدورُ بها مجتهدَ السعيِ مغمضَ البصرِ
في أشهرٍ عشرةٍ طحتهم فيا رحى الشؤمِ والبوارِ دُر

ثم قالَ بعدَ ذلك:

والله ما كنتَ يا مشؤمُ ولا أنت سوى عُرَّةٍ من العُرِّ (١٤٦)

وحيثُ امتنعَ أن يكونَ الخطابُ للرحى، امتنعَ أن يكونَ قوله "دُر" أمراً للأُنثى. على أنه لو كانَ أمراً للأُنثى للزمَ أن يكونَ فيه حذفُ الواوِ - التي هي عينُ الفعلِ -، والياءُ - التي هي للمؤنثةِ المخاطبةِ أيضاً، ولا ياءَ في الأصلِ -، فتعيَّنَ أن يكونَ "دُر" أمراً للمخاطبِ المذكَّرِ، ليس إلا.

فقولُ المعترضِ: "وفيه إما تذكيرُ الرحى وهي مؤنثة، أو حذفُ الواوِ من قوله (دُر)"، وهم صريح.

(٣٠) وعابَ قولَ ابنِ هانئِ الأندلسيِّ يصفُ خيلاً:

مَجَلَّةٌ غَرًّا وَزُهْرًا نَوَاصِعًا كَأَنَّ قَبَاطِيًّا عَلَيْهَا مَنَشَّرًا (١٤٧)

بالتذكيرِ في وصفِ القباطيِّ. قال: وهي جمعُ قبطيَّة - بكسرِ القافِ وضمِّها - لثيابِ بيضٍ رقاقٍ من الكتَّانِ، كانت تُنسجُ في مصر، وهي منسوبةٌ إلى القبط (١٤٨). قلت: تُحمَلُ القباطيُّ على الساترِ، أو ما في معناه مما هو مذكَّر، ويرادُ بذلك الجنس، وهو عامٌّ يرادُ به الخاص. وإنما أردنا بالساترِ الجنسَ ليقومَ مقامَ الجمعِ، فإن القباطيَّ جمع.

(١٤٦) نفع الطيب ١/٥ ١٤١. والعرَّة: الخلة القبيحة، والجرَب...

(١٤٧) الحماسة المغربية ٣/١١٤٦.

(١٤٨) لغة الجرائد ص ٤٥ - ٤٦.

ومن المقرّر أن (ال) الجنسية تكسب مدخولها المفرد العموم المصحح، لتأوله بالجمع، ويدلُّ على ذلك قول العرب فيما حكاه لأخفش: أهلك الناس الدرهم البيض والدينار الحمر^(١٤٩).

وُزُق

(٣١) وخطأ ابن المفضل البغدادي بقوله:

خطرث فكاذ الوُزُق يسجع فوقها

إن الحمام مغرم بالبان^(١٥٠)

قال: وإنما الوُزُق جمع ورقاء، وهي الحمامة لوئها لون الرماد^(١٥١).

قلت: يراذ بالوزُق في هذا البيت الحمام، وهو يقع على الذكر والأنثى، وإنما دخلته الهاء على أنه واحد من جنس، لا للتأنيث، كما صرحوا بذلك في كتب اللغة.

شقائق

(٣٢) وأخذ على عبدالصمد الصفار^(١٥٢) في قوله:

وشقائق شقّ القلوب كأنه

خذ مليح ضم صدغاً أسوداً^(١٥٣)

قال: فذكر الشقائق، وهي جمع شقيقة لواحدة الشقيق، وهو النَّوْر المعروف^(١٥٤).

قلت: قول عبدالصمد هو الصحيح، وما ذهب إليه المعترض فعلى قول ضعيف، فأبي ضرورةً نحتاجنا إلى العمل بالقول الضعيف واتباعه مع وجود ما هو الصحيح الأصح؟ فإن الشقائق هي النَّوْر المعروف بشقائق النعمان، وهو الشَّقِر. قال في المصباح: ولا واحد له من لفظه. وقيل: واحده شقيقة، وهو الذي اعتمد عليه المعترض. ولا يخفى أن "قيل في مثل ذلك" تدلُّ على ضعف مدخولها.

(١٤٩) العدة في إعراب العمدة ٣٥٤/١.

(١٥٠) خزانة الأدب وغاية الأرب ٤٦٠/١، معاهد التنصيص ١٥٩/٢.

(١٥١) لغة الجرائد ص ٤٦.

(١٥٢) أبو القاسم عبدالصمد بن فضالة الصفار. من شعراء البيتية.

(١٥٣) بيتيمة الدهر ٥٠٩/١.

(١٥٤) لغة الجرائد ص ٤٦. والنَّوْر: الزهر.

وفي مختار الصحاح: وشقائق النعمان معروف، واحده وجمعه سواء. ا. هـ. بتذكير قوله "معروف"، وقوله "واحد".

وفي القاموس: وشقائق النعمان معروف للواحد والجمع، فراجعه.

ضرورة

[لَمَّا]

(٣٣) وعاب قول ابن حجة الحموي:

لَمَّا يزيد الطير في التلحين^(١٥٥)

والنبت يضبطها بشكلٍ معرب

يريدُ المعترضُ أن (لَمَّا) مخصوصةٌ بالماضي^(١٥٦).

قلت: هذه ضرورةٌ شعريةٌ تستلزم:

- حمل (لَمَّا) على معناها الذي يصلحُ دخوله على المضارع.

- أو تأويل المضارعين بماضيين.

- أو المضارع الذي يليها فقط.

فهذه أوجهٌ ثلاثة.

فالمنى على الوجه الأول: والطيْرُ يضبطها بشكلٍ معرب، حينَ أو إذ يزيدُ الطيرُ في التلحين.

الثاني: ضبطها (لَمَّا زاد) هذا إذا كان ما قبل البيت يساعِدُ على صحة ذلك من حيث المعنى، وإلا فلا نقولُ به.

وعلى الثالث: والطيْرُ يضبطها بشكلٍ معرب، لما زاد الطير في التلحين، ضبطها بشكلٍ معرب.

والقولُ بالوجهِ الثالثِ يشهدُ بصحته قولُ الشاعر:

إني لأرجو محرراً أن ينفعاً
إيَّايَ لَمَّا صرْتُ شيخاً أقلعا^(١٥٧)

(١٥٥) خزانة الأدب وغاية الأرب ١/٩٩، ٢/٣٦٥. ومعرب: واضح مبين.

(١٥٦) لغة الجرائد ص ٤٦.

(١٥٧) لسان العرب مادة (قلع). وآخر البيت فيه (قَلِعا).

قال الدماميني^(١٥٨) في الكلام على هذا البيت: ويمكن أن يقال: هو من قبيل ما حُذِفَ فيه الجواب، أي: لما صرث رجوت ذلك. انتهى. كذا في شرح الكفاية للبيتوشي. وأظن أن المعترض لا ينكر تأويل المضارع بالماضي في الشعر، مراعاةً لحكم الضرورة، أو مراعاةً لقول أبيه^(١٥٩):

ويجعلون اثنين واثنتين في حكم ما ثني ملحقين

مع كون أبيه من المتأخرين، والمتأخر على رأي ابنه لا تعذرُهُ ضرورةً مطلقاً. فإما أن يرجع المعترض عن هذا الرأي، وإما أن يقول بفساد بيت أبيه معني، بل بفساد كل بيت له فيه أقل ضرورة. وقد أحصينا له من ذلك أبياتاً كثيرة. فلو أردنا مجازة هذا المعترض فيما جاء به من الاعتراض، لأتينا بما لا يسره، ولكن أعرضنا عن ذلك كل الإعراض، ولكل وجهة.

قط

(٣٤) وأنكر قول النواجي^(١٦٠):

مصرُ قالت دمشق لا تفتخر قطُ باسمها^(١٦١)

وقول الخوارزمي^(١٦٢):

ويا من لست أرضى قطُ بالبحر له قطره^(١٦٣)

(١٥٨) بدر الدين محمد بن أبي بكر الدماميني، نحوي أديب من مصر، ت ٨٢٧ هـ.

(١٥٩) ناصيف بن عبدالله اليازجي. أديب شاعر من لبنان. له كتب في اللغة والنحو والأدب، ودواوين شعر. ت ١٢٨٧ هـ. الأعلام ٢/٣٥٠.

(١٦٠) شمس الدين محمد بن حسن النواجي، أديب شاعر من مصر، ت ٨٥٩ هـ.

(١٦١) نفع الطيب ٢/٤٠٤. وفيه: يا دمشق.

(١٦٢) أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي. وصفه الثعالبي بأوصاف فخمة، مثل قوله فيه: باقعة الدهر، وبحر الأدب، وعلم النثر والتّظّم... وكان يجمع بين الفصاحة العجيبة والبلاغة المفيدة، ويحاضر بأخبار العرب وأيامها ودواوينها، ويدرس كتب اللغة والنحو والشعر... ت ٣٨٣ هـ. بيتيمة الدهر ٤/٢٢٣.

(١٦٣) بيتيمة الدهر ٤/٢٧٣.

يريدُ أن (قطّ) إنما تستعملُ للزمانِ الماضي فقط^(١٦٤).

قلت: في الكليات: "كنتُ أراهُ قطّ" أي: دائماً. وفي سننِ أبي داود "توضاً ثلاثاً قطّ"^(١٦٥).

وهذا الاعتراضُ ليس من عند هذا المعترض، وإنما سبقهُ إليه الحريري في "درة الغوّاص".

قال الحريري: ومن أوهامهم في هذا قولهم: "لا أكلمهُ قطّ". وهو من أفحشِ الخطأ؛ لتعارضِ معانيه، وتناقضِ الكلامِ فيه. وذلك أن العربَ تستعملُ لفظةَ (قطّ) فيما مضى من الزمان، كما تستعملُ لفظةَ (أبدًا) فيما يستقبلُ [منه]"^(١٦٦).

وإليك ما قاله العالمُ الكبيرُ أحمدُ شهابُ الدين الخفاجي، شارحُ (درة الغوّاص): "قطّ، كما عليه عامةُ النحاة، ظرفُ زمانٍ لما مضى، مأخوذةٌ من القطّ، وهو القطع. فمعنى ما رأيتُهُ قطّ: ما رأيتُهُ فيما انقطعَ من عمري.

قالوا: ولا يعملُ فيه إلا الماضي. وقد وردَ ما يخالفهُ في كلامِ الناس، وفي كلامِ الزمخشري، في قوله تعالى: {فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ}^(١٦٧) أن ذلك الإخلاصَ الحادثَ عند الخوفِ^(١٦٨) لا يبقى لأحدٍ قطّ^(١٦٩). فأعملَ فيه (لا يبقى) وهو مضارع.

وقال أبو حيان في البحر، بعدَ نقله كثرةَ استعمالِ الزمخشري (قطّ) ظرفاً: والعاملُ فيه غيرُ ماضٍ، وهو مخالفٌ لكلامِ العرب^(١٧٠).

(١٦٤) لغة الجرائد ص ٥٠.

(١٦٥) الكليات للكفوي ص ٧٣٧. والحديث عند أبي داود برقم (١١٠) وقد جاء هكذا: حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا إسرائيل، عن عامر بن شقيق بن حمرة، عن شقيق بن سلمة قال: رأيت عثمان بن عفان غسل ذراعيه ثلاثاً ثلاثاً، ومسح رأسه ثلاثاً، ثم قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هذا.

قال أبو داود: رواه وكيع عن إسرائيل قال: توضاً ثلاثاً، قطّ.

(١٦٦) درة الغواص ص ١٩ - ٢٠. وما بين المعقوفين منه.

(١٦٧) قوله تعالى: {إِذَا عَشِيَهِمْ مَوْجٌ كَالظَّلْلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ} سورة لقمان: ٣٢.

(١٦٨) الخوف عندما تتعالى وتضطرب أمواج البحر.

(١٦٩) الكشاف ٣/٥٠٣.

(١٧٠) البحر المحيط ٨/٤٢٣.

وهي مبنية على الضمّ، تشبيهاً لها بـ (قَبْلُ).
وذهب الكسائي إلى أن أصلها قَطَط، فجعلت حركة الأولى على الثانية.
ولا تستعمل إلا بعد النفي، سواء كان ملفوظاً أو مقدراً.
وقد ترد في الإثبات، كما قاله ابن مالك. واستشهد له بما وقع في الحديث، كما في البخاري،
في قوله: **قصرنا الصلاة في السفر مع النبي صلى الله عليه وسلم أكثر ما كنا قط^(١٧١)**.
وأما قوله:

جاؤوا بمدقٍ هل رأيت الذئب قط؟^(١٧٢)

فلا شاهد فيه، لأن الاستفهام أخو النفي، قال ابن مالك: وهذا مما خفي على كثير من
النحاة.
وفي شرح البخاري للكرماني: فإن قلت: شرط (قطّ) أن تستعمل بعد النفي، قلت: أولاً لا
نسلّم ذلك، فقد قال المالكي:
استعمال (قطّ) غير مسبوق بالنفي مما خفي على النحاة، وقد جاء في الحديث بدونه، وله
نظائر.

وثانياً: أنها بمعنى (أبدأ) على سبيل المجاز.
وثالثاً: يقال: إنه متعلقٌ بمحذوفٍ منفيّ، أي: وما كنا أكثر من ذلك قطّ.
ويجوز أن تكون (ما) نافية، والجملة خبر المبتدأ.
و(أكثر) منصوبٌ على أنه خبرٌ كان، والتقدير: ونحن ما كنا قطّ أكثر منّا في ذلك الوقت.

(١٧١) لم أره في البخاري هكذا، وإنما تورده كتاب الأدب والنحو وتنسبه إليه بهذا اللفظ، مثل خزانة الأدب وغيرها.
ولفظه في الصحيح: "صلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن أكثر ما كنا قط وآمنه بمنى ركعتين". (صحيح البخاري
١٦٥٦).

(١٧٢) حتى إذا كاد الظلام يختلط جاؤوا بمدقٍ هل رأيت الذئب قط؟

يقول: في لون الذئب. واللبن إذا جهد [أي: أخرج زبده كله] وخلط بالماء، ضرب إلى الغبرة. الكامل في اللغة ٣/١١٠.

وجازَ إعمالَ ما بعدها فيما قبلها إذا كانت بمعنى ليس. ا. هـ (١٧٣).
 وقالَ الغرناطي: الذي جَوَّزَهُ مراعاةً لفظيةً (ما) في قوله: ما كُنَّا قَطَّ، وإن كانت غير نافية، وقد
 تراعى الألفاظُ دونَ المعاني. ا. هـ. وهو كلامٌ حسن.
 وقال ابنُ هشامٍ في القواعد: ما أفعله قَطُّ، لحن، لاستعماله في غير موضعه.
 واعترضَ عليه ابنُ جماعةٍ في شرحه بأنه غيرُ صحيح، وقصاراهُ استعمالُ اللفظِ في غير ما وُضِعَ
 له، فيكونُ مجازاً لا لحناً، وجعله من اللحنِ عجيب، إذ لا خللَ في إعرابه. ا. هـ.
 وليسَ بشيء؛ لأن اللحنَ بمعنى مطلقِ الخطأ، وهم كثيراً ما يستعملونه بهذا المعنى.
 فإن قلت: إذا استعملَ العربُ لفظاً في محلِّ مخصوصٍ ك (قطّ) بعد نفي الماضي، وكافة (١٧٤) حالاً
 منكراً، أو في معنى مخصوص، كالغزاةِ للشمسِ في أولِ النهار، فهل مخالفتهم في ذلك جائزة
 أم لا؟

وعلى تقديرِ الجواز، هل يكونُ حقيقةً أو مجازاً؟
 وعلى الثاني: ما وجهه؟

قلت: الذي يظهرُ من كلامهم وتخطئةً من خالفهم أنه غيرُ جائز.
 فإن قيلَ بجوازه، فالظاهرُ أنه مجازٌ مرسل، من استعمالِ المقيدِ في المطلق، إلا أنه لا يظهرُ في
 (كافة) ونحوها، كالظروفِ التي لا تتصرف، فإن معناها لم يتغير، وإنما يتغيرُ إعرابها، وإن وقعَ
 مثله في مكانِ التقصير (١٧٥).

أبدًا

(٣٥) وأنكرَ قولَ عبيدالله الميكالي (١٧٦):

لَكَ في المحاسنِ معجزاتٌ جمَّةٌ أبدًا لغيرِكَ في الورى لم تُجمَعِ (١٧٧)

(١٧٣) أخذه من خزانة الأدب للبغدادى ١٢٥/٧.

(١٧٤) في شرح درة الغواص (وكانت).

(١٧٥) شرح درة الغواص ص ٩٧ - ١٠٠، في نقل طويل، لم أجعل خلالها أقواسًا لئلا تختلط بالقوس الأول.

(١٧٦) أمير، من الكتاب الشعراء، من خراسان. ت ٤٣٦ هـ. الأعلام ١٩١/٤.

(١٧٧) يتيمة الدهر ٤٠٨/٤، وفيه أنه لبعضهم، معاهد التنصيص ٩٠/٢ وفيه أنه للثعالبي في المكيالي.

يريدُ أن (أبدًا) لا تستعملُ إلا في المستقبل (١٧٨).

قلت: (أبدًا) هنا بمعنى دائماً، ففي كتبِ اللغة: الأبد: الدهر. والأبدُ أيضاً الدائم. وقد جعله السمينُ (١٧٩) ظرفاً مطلقاً، فقد قال: أبداً ظرفُ زمانٍ يقعُ للقليلِ والكثيرِ، ماضياً كانَ أو مستقبلاً، تقول: ما فعلتهُ أبداً. ا. هـ (١٨٠).

ولنا أن نقول: إن (أبدًا) في البيتِ ليس ظرفاً لقوله "لم تجمع" كما توهمه المعترض، وإنما هو ظرفٌ لـ (جمّة)، بمعنى كثيرة، فكأن الشاعر يقول: لك في المحاسنِ معجزاتٌ جمّةٌ أبداً، يعني كثيرةٌ على الدوام. ثم قال: "غيرك في الورى لم تجمع".

وإنما يتوهمُ أن (أبدًا) ظرفٌ لقوله "لم تجمع" لتمايم الفائدةِ في صدرِ البيت، فلو ضُمَّتْ (أبدًا) إلى الصدرِ لما تُوهمَ ذلك.

انصلاح

(٣٦) وأخذَ على عبدالمحسن الصوري - من شعراءِ اليتيمة - في قوله:

أما انصلحتُ للمالِ منك طويّةٌ فتصلحه حتى متى أنت حاقدٌ (١٨١)

قال: ومثله قولُ عبدالوهاب بن جعفر الحاجب، من شعراءِ اليتيمة أيضاً:

أصلحُ فسادَ العيشِ مجتهداً ففسادُ عمرِكَ غيرُ منصلح (١٨٢)

قلت: لا مانع من طروء التحريفِ على قوله "انصلحت" في البيتِ الأولِ لاستقامةِ الوزنِ والمعنى، فيما لو قلنا إن أصله "أما صلحت للمال" الخ. ومع ذلك فيمكنُ أن يقال: إن (انصلح) مطاوعٌ (أصلح) الرباعي، فقد عدَّ بعضهم ما هو من هذا القبيلِ مقيساً، كما يُفهمُ من كلامِ الخفاجي، على قولِ الحريري في (درة الغواص)، ويقولون: انضافَ إليه، وانفسدَ الأمرُ عليه. فراجعهُ (١٨٣).

(١٧٨) لغة الجرائد ص ٥٠.

(١٧٩) السمين الحلي شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبدالدائم، العالم النحوي المفسر، ت ٧٥٦ هـ.

(١٨٠) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ٧/١٢٨.

(١٨١) يتيمة الدهر ١/٣٧٧.

(١٨٢) يتيمة الدهر ١/٥٢١.

(١٨٣) شرح درة الغواص للخفاجي ص ١٨٤.

أزرة

(٣٧) وأنكر على نزهون الغرناطية^(١٨٤) الشاعرة في قولها:

البدْرُ يطلُعُ من أزرتهِ والغصنُ يمرحُ في غلائله^(١٨٥)
يريدُ أن (الزَّر) إنما يجمعُ على أزرار.

قلت: عجيبٌ من هذا المعترض أن يأخذ على نزهون هذه بجمعها الزرّ على أزرة، وهي في ذلك مضطرة. وإنما يُعلم وجه اضطرارها من عرف السبب في إنشادها هذا البيت. وذلك أنها كانت تقرأ على أبي بكر المخزومي الأعمى، فدخل عليهما أبو بكر الكتندي، فقال يخاطبُ المخزومي:

لو كنت تبصرُ من تكلمه
فأفحم، وأطال، فما وجدَ شيئاً، فقالت نزهون:

لغدوتُ أخرسَ من خلاخله

البدْرُ يطلُعُ من أزرتهِ والغصنُ يمرحُ في غلائله^(١٨٦)

على أن الارتجال قد اضطرَّ كثيراً من رجال الشعراء وشعراء الرجال، أفلا تُعذّر نزهون هذه في ذلك، وهي من نوع النساء؟ فكان الأليقُ بصاحب الاعتراض الإعراض عن مثل ذلك. وإن كان لا بدّ له من الاعتراض على النساء، فقد طبع ديوانُ النساء، فليُنظر فيه وليقل ما شاء.

صفار

(٣٨) وأخذ على مجير الدين بن تميم في قوله:

حبيبي وعدت الكأسَ منك بقبلةٍ وأعقبَ ذاك الوعدَ منك نفازُ

(١٨٤) أديبة شاعرة، سريعة الجواب، صاحبة فكاهة ودعابة. الإحاطة في أخبار غرناطة ٢٦٢/٣.

(١٨٥) الإحاطة في أخبار غرناطة ٢٦٣/٣.

(١٨٦) المصدر السابق.

وما كان هذا لونها غير أنها علاها لطول الانتظارِ صفاراً^(١٨٧)
 وعدّ ذلك غريباً من مثله؛ لأن مقتضاهُ أن يقولَ (صُفرة)، وأن (الصفار) لغةٌ عامية؛ لأن العامةُ
 هي التي تقول: الصفار، والخضار، وغير ذلك، قياساً على السواد، والبياض^(١٨٨).
 قلت: من أين تحقّق هذا المعترضُ أن الصفارَ في قولِ الشاعرِ بفتحِ الصادِ؟ والظاهرُ أن ذلك
 منه أمرٌ ظنيّ، والأصلُ في اعتقادهِ عدمُ التأمل، وقلةُ التروّي، الناشئُ كلُّ منهما عن غلبةِ ظنّه،
 نظرًا لامتلاءِ سمعهِ من نطقِ العامةِ بهذه اللفظةِ مفتوحةِ الصادِ، ليس إلّا.
 فاللفظةُ هي بضمِّ الصادِ لا بفتحها. فلو قدحَ المعترضُ زنادَ الفهمِ لما وقعَ في مثلِ هذا الوهمِ.
 قالَ في اللسان: والصفارُ صُفرةٌ تَعْلُو اللَوْنَ والبشرةُ. (١٨٩) ا. هـ.
 وقد استعملَ هذه الكلمةَ غيرُ واحدٍ من الشعراء. قالَ الأَرَجاني^(١٩٠):
 وما كانَ لونُ التبرِ ذاكَ وإنما علاهُ لُخوفِ الجودِ منكُ صُفّاراً^(١٩١)
 إلا أن يُثبِتَ لنا المعترضُ أن هذينِ الشاعرينِ أرادَا الصّفّارَ بفتحِ الصادِ لا بضمِّها، ولا أظنُّ
 ذلكَ مما يمكنُ^(١٩٢).

(١٨٧) خزانة الأدب لابن حجة ٨٧/٢.

(١٨٨) لغة الجرائد ص ٦٢.

(١٨٩) لسان العرب مادة (صفر).

(١٩٠) القاضي ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد الأَرَجاني. شاعر، في شعره حكمة. ولي القضاء بتستر. ت ٥٤٤ هـ. الأعلام ٢١٥/١.

(١٩١) خزانة الأدب لابن حجة ٨٧/٢.

(١٩٢) علق عليه في هامش (لغة الجرائد) ص ٦٢، كما يبدو، وهو:

أعجبتنا هنا فلسفة بعض المتحدلقين بعد ظهور هذا النقد، حيث زعم أن الشاعر إنما أراد الصفار بضم الصاد، وهو
 اليرقان، يعني أن الخمر من طول انتظارها للحبيب أصيبت بداء اليرقان، فليتأمل المطالع هذه الفطنة الدقيقة في فهم
 المعاني، بل ليتأمل هذا الذوق اللطيف، ويتصور أي كأس شهية أعدها هذا الشاعر لحبيبه ودعاه لشربها، وناهيك بما
 كأساً ممزوجة باليرقان. على أن صاحب (خزانة الأدب) [١٩٢/٢] قد روى هذين البيتين لابن تميم، ثم قال: ومن هنا
 أخذ الشيخ بدر الدين ابن الصاحب فقال:

يا حابس الكأس لا تزدها من بعد حبس الدنان حسره
 واغنم مزاجاً لها لطيفاً أورثه الانتظار صفره =

زيادة الباء

[بَأَنَّ]

(٣٩) وأخذَ عليّ ابنَ العطارِ في قوله:

وقلْ لعليلِ الطرفِ عني بأني صحيحُ التصابي والفؤادُ عليلُ

يريدُ أن الباءَ لا تُزادُ قبلَ (أَنَّ) بعدَ القولِ، إلا إذا كان القولُ بمعنى الرأي والمذهب، لا على أصلِ معناه^(١٩٣).

قلت: أيُّ مانعٍ يمنعنا من تأويلِ (قل) بمعنى أخبرْ أو أنبئْ؟ فكلاهما يتعدَّى بالباء. وبذلك يكونُ المعنى صحيحًا.

(٤٠) قال: وربما زادوا الباءَ في غيرِ ذلك، كقولِ ابنِ أسدِ الفارقي^(١٩٤):

وللصهباءِ أسماءٌ ولكنْ نسيْتُ بأن في الأسماءِ ريقًا^(١٩٥)

ولا وجهَ لزيادتها؛ لأنك تقول: نسيْتُ الأمر، ولا تقول: نسيْتُ به.

= فإنه عبر (؟) مكان الصفار بالصفرة، وهو المعنى الذي فهمه من هذه اللفظة في بيت ابن تميم، وزاد على ذلك التصريح بسبب صفرة الخمر، وهو المزاج، الذي ذكره في صدر البيت الثاني، ومراده بها مزجها بالماء لا صبغها باليرقان. على أن تفسير الصفار باليرقان ليس بصحيح، ولكن جاء في تفسيره في لسان العرب ما نصه: الصَّفَرُ والصُّفَّارُ دود يكون في البطن، وشراسيف الأضلاع، فيصفّرُ عنه الإنسان جدًّا، وربما قتله. ١. هـ. وهذا أشهى (؟) في وصف الخمر من تفسيره باليرقان.

وبعد فإن ابن تميم لم ينفرد باستعمال الصفار مكان الصفرة، فقد سبقه إليه الدّميري صاحب (حياة الحيوان الكبرى)، حيث قال في الكلام على النعام ما نصه بالحرف: ويقال إنها (أي النعام) تقسم بيضها ثلاثًا، فمنه ما تحضنه، ومنه ما يجعل (صفاره) غداء. إلى آخر ما هنالك (انظر الجزء الثاني من كتاب الدّميري المطبوع في مصر ص ٣١١).

(١٩٣) لغة الجرائد ص ٥٢.

(١٩٤) الدر الفريد ٦/١١٢.

(١٩٥) في الأصل (الفاروقي). والصحيح ما أثبت. ونسبته إلى مدينة ميفارقين. وهو أبو نصر الحسن بن أسد الفارقي. شاعر لغوي فصيح. ت ٤٨٧ هـ.

ومثله قول ابن بقي^(١٩٦):

وَدَعْتُ مَنْ أَهْوَى وَقَلْتُ تَأْسَفًا صَعَبْتُ عَلَيَّ بِأَنْ أَرَاكَ مَفَارِقِي^(١٩٧)

قال: فزادها على المبتدأ.

وأخذ أيضًا على عنترَةَ العبسيِّ بقوله، في معلّته المشهورة:

ولقد خشيتُ بأنْ أموتَ ولمْ تُدْر في الحربِ دائرةٌ على ابنيِّ ضمضم^(١٩٨)

قال: وقولٌ من قالَ إن الباءَ تُزادُ على مفعولٍ خشِي، ليس بشيء.

ثم قال: وأنكر ما جاء من مواضع زيادتها قول ابن حجة الحموي، رواه لنفسه في خزانة الأدب:

منعمةٌ لِقَاءٍ مهضومةُ الحشا تكادُ بأنْ تنقَدَ من دقّةِ الخصر^(١٩٩)

فزادها في خبر (كاد).

إلى آخر ما قال، مما لا حاجة لنا به^(٢٠٠).

قلت: كلُّ ذلك من الضرورات الشعرية، ولا بأس بزيادة الباء ضرورة.

قال أبو البقاء في كلياته: والضرورة الشعرية هي ما لم يرد إلا في الشعر، سواء كان للشاعر فيه مندوحة أم لا^(٢٠١).

وهذا أبو المعترض^(٢٠٢) قد زاد الباء في مثل ذلك، حيث يقول: أخذ الطبيب بأن يداوي غيره. وقول المعترض: إن قول "من قال إن الباء تُزادُ على مفعولٍ خشِي، ليس بشيء"، فهو غير مسموع منه؛ لأن كل قولٍ قاله المتقدمون - صحيحًا كان أو ضعيفًا - يُعملُ به عند المتأخرين، كما جرت عادة الخلف في اتباع السلف، فكأنه وإن كان متأخرًا لا يرضى لنفسه إلا التقدّم والتفرد بالرأي، فرحم الله القائل:

(١٩٦) يحيى بن عبدالرحمن بن بقي القرطبي، من شعراء قرطبة، ت نحو ٥٤٠ هـ.

(١٩٧) خريدة القصر ٢/٢٣٧.

(١٩٨) ديوان عنتره ص ٢٢١.

(١٩٩) خزانة الأدب ٢/٣٥١. وفيها: (رقة الخصر). واللقاء: الكثيرة لحم الفخذين.

(٢٠٠) لغة الجرائد ص ٥٢ - ٥٣.

(٢٠١) الكليات ص ٥٧٦.

(٢٠٢) ناصيف عبدالله اليازجي.

ومن جهلتُ نفسه قدرُهُ رأى غيره منه ما لا يرى^(٢٠٣)
وما أظنُّ أن أحداً يأخذُ بقولِ هذا المعترضِ ويتركُ قولَ عنترَةَ العبسيِّ، وهو الذي يُعتبرُ حجَّةً
على من بعده في كلِّ ما ثبتَ له.
على أنه لا مانعَ من كونِ الباءِ بمعنى (من)، فقد سُمِعَ ذلك عن العرب. وعدَّها في شرح الشواهدِ
الكبرى للسببية، وروايةُ البيتِ هناك:
ولقد خشيتُ بأن أموتَ ولم تكنُ للحربِ دائرةٌ على ابني ضمضم
قالَ العيني: الباءُ للسببية، والتقدير: خشيتُ بسببِ موتي والحالُ لم يكنْ للحربِ دائرةً^(٢٠٤). اهـ.
والله سبحانه وتعالى أعلم.
وكان تمامُ ذلك في صبيحةِ اليومِ العاشرِ من شهرِ ربيعِ الثاني، سنةَ سبعِ عشرةَ وثلاثمائةٍ وألف.
والحمدُ لله في البدءِ والختامِ

(٢٠٣) للمتني. الأمثال السائرة من شعر المتني ص ٧١.

(٢٠٤) المقاصد النحوية للعيني ١١٦٠/٣.

قال المؤلف: قد بقي في ذيل هذا الردِّ بعد تمام الطبع صفحاتٌ لم يكن لها حظُّ من عبارة، ولا نصيبٌ من كلام، فأعملتُ الفكرَ من أجلِ ذلك، في انتقاءِ موضوعٍ يناسبُ المقام، لأزَيِّنَ به أوجهها، فتعودُ حاليةً بعد أن كانت عاطلةً خالية، فاحترتُ، إلى أن اخترتُ نظمَ قصيدةٍ أستعملُ فيها ما اعترضَ عليه المعترضُ من الألفاظ؛ لأفوزَ بأجرِ المقتدي بمن سلف، وأنجُوَ من جرأةِ المعتدي من الخلف.

وقد سكتُ ذلك في قالبِ الحكمة؛ ليكونَ أفيدَ للقارئِ والسامع. وسبكتُهُ في سلكِ النظم، فإنه أحلى في الذوق، وأروقُ للمسامع. وتخلصتُ بمدحِ متبوعنا الأعظم، سيِّدنا ومولانا أميرِ المؤمنين، وخليفةِ ربِّ العالمين، السلطانِ ابنِ السلطان، السلطانِ الغازي عبد الحميدِ خان، أطالَ اللهُ لنا عمره، وأعزَّ نصره. آمين. فقلت:

حمداً لمولى برأ الخليفة	وأنزلَ المجازَ والحقيقة
ما مرَّ يومٌ يانع الحديقة	وكانَ يوماً حاميِ الوديقة ^(٢٠٦)
ثم الصلاةُ للنبيِّ الشافع	من جاءنا بالكلمِ الجوامع
ما بانَ ليلاً نورٌ بدرٍ طالع	أو زانَ روضاً زهرٌ غصنٍ يانع
والآلِ والصحبِ الألى أضأوا	بهديبهم فهم لنا ضياءُ
ما أبرقتُ وأرعدتُ سماءُ	أو سمعتُ بين الملا ضوضاءُ
وبعدُ فاعلم أن هذه حكم	بحسبِ القصدِ جرى بها القلم
إيَّاك أن تذهلها مثلي فكم	أذهلني عن مثلها أمرٌ ألم
كان نظامٌ عقديها قد انفرط	فصغنتها لكن على أبهى نمط
فإن أكن أخطأتُ فيها فالغلطُ	شأني والعصمةُ لله فقط

(٢٠٥) هذا نظم لما سبق بيانه في الكتاب، من جواز استعمال كلمات رفضها اليازجي، ولذلك لم أبيت غامضها وغريبها، إلا إذا كانت جديدة.

(٢٠٦) سبق بيانه بأنه الحرُّ الشديد.

عليك يا مغرورُ بالعلمِ إذا
فإنه كم جاهلٍ قد أنقدا
العلماءُ السالفون مقتدى
وقل لمن أعدَّ قوهم سُدى
إيَّاكَ أن يُهيحَ علمك الجسيم
فالله قال في كتابه القديم
الرجلُ المهابُ من ليس يرى
فارجع إذا رمت العُلا إلى ورا
كم فاضلٍ بين الأنام وقفا
إذا حكى أوصافه من وصفا
وكم فتى صلفه استأسره
فضل كبارِ العُلما أنكره
هذا ولا يخفك أن المالا
فليك ما تكسبه حلالا
وإن تقل عيشي عيش منكدز
قلت كفى الرزق الكفافُ فاصطبر
ما زاد عنك فهو لليتامى
ومن يُرد أن يأكلَ الطعاما
الله جلَّ شأنه قد حدَّا
أكربك الجهلُ وكظك الأذى
بالعلم من جهلٍ عليه استحودا
لنا فكن بقولهم مستشهدا
ضللت عن نهج الصوابِ والهدى
دعواك فالدعوى هي الخيمُ الوخيم^(٢٠٧)
لنا: {وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ}^(٢٠٨)
لنفسه قدرًا على وجه الثرى
فإن تكن شهمةً يقدّمك الورى^(٢٠٩)
من دون حدِّه فنال الشرفا
حاكى بها الدرَّ وأزرى الشنفا^(٢١٠)
قدم من دعواه ما أحره^(٢١١)
ف {قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ}^(٢١٢)
قد ناله بين الملا من نالا
تبلغ به المرام والآمالا
من أجله عن الحرام لا أفر
عليه يُغنك الإله المقتدر
إنَّ الأبيَّ يأنفُ الحراما
وفيه سم يشرب الحماما
لنا حدودًا عدها من عدَّا

(٢٠٧) الخيم الوخيم: الغشيان الثقيل.

(٢٠٨) سورة يوسف: ٧٦.

(٢٠٩) الورى: الخلق من البشر. وورد في الأصل (العلی).

(٢١٠) من شنف، إذا أبغض.

(٢١١) الصلف: التكبر.

(٢١٢) سورة عبس: ١٧.

فمن تعافاها فقد تعدى
ومن عصى أوامر الجبار
وأنت أيها المطيع دار
سوف ينادي بالثبور والحرب
ففر منه فهو للنار حصب
لا يك موثوقاً صديقاً مالا
أنت تلجح به الآمالا
من خفر الذمة فاخفر ذمته
وإن يعد للود فارغ حرمته
إلى الإله في الرخا تعرف
ومنه في الإعلان والسر خف
لا تمش في طرق الهوى فمن مشى
فكم شج أحب صبحا فوشى
كم كلف حكي بما يعاني
أضناه من محبوبه عينان
الحب كم في نهجه أرى^(٢١٦) قدم
وكم ثوى حي بجيز العدم
كف عن الدنيا فبئست هذي
نعيمها الآذي يرى كالمآذي

فليك للحسن مستعدا
خلده بطن الجحيم الباري
مالك من زلقى بتلك الدار
من عمّر الدنيا وللأخرى حرب^(٢١٣)
كما تفر من جذام أو جرب
خشية أن تطلب منه مالا
قصد النتاج فيريك ما لا
ولا تفرج عنه يوما غمته
وأره أنك ترضى خدمته
يعرفك في الشدة فافعل تعرف
فمن يخف مقام ربه كفي
فيها تدب صباة منه الحشا
عليه واش فقضى وقت العشا
جسده واحدة^(٢١٤) المثاني
بالإثم الخازي مكحولان^(٢١٥)
مخضبا دما فكم أراق دم
من أجله وكم وكم وكم^(٢١٧)
فكف بطشها بكل هادي
مع أنه في الذوق مثل الآذي^(٢١٨)

(٢١٣) الحرب: الويل والهلاك.

(٢١٤) الكلف: الحب.

(٢١٥) سبق التنبيه إلى تصحيف كلمة (الخازي)، وأن الصحيح هو (الحاري) نسبة إلى الحيرة.

(٢١٦) هكذا ضبطت الكلمة، بضم الهمزة، ولو جاءت بالفتح لكانت أوضح .

(٢١٧) ثوى: استقر.

(٢١٨) المآذي: العسل الخالص.

يدورُ بينَ العالمينَ أبدا
سلطاننا عبدِ الحميدِ ذي الجدا
بجلَّةِ العدلِ كسا كلَّ الورى^(٢١٩)
على القباطيِّ بها إن نُشِّرا
باهتُ به الأرضُ عَنانَ الفلكِ
بما دعا ما في السما من ملكٍ^(٢٢٠)
شقائقُ الأقدارِ في السماءِ^(٢٢١)
شقائقُ يخالُ كالأصداءِ
من جودهٍ وعمِّ المعارفا
لَمَّا يرى جنودهَ العُطارفا^(٢٢٢)
حضرتِه العلياءِ بعدَ الله
فجاهه الجاهُ العظيمُ الباهي
قطُّ سواه مؤثلاً ومقتدى
من غيره بين الملوكِ ما بدا
وعمَّر الكونَ برأيٍ قد رجح
ففاة فيه الشعراءُ بالمدح
بها العرى تُشدُّ مستمرَّة
في حكمه المحكمِ من مضرَّة
يُسمعُ من زفيرها إعصاراً
لاخٍ بأوجهِ العدا صفاراً

خداعها رَحَى البوارِ والردي
فيا رَحَى البوارِ دُرُ على عدا
ملكٌ تهابُ بأسه أسدُ الشرى
يا حلةً حُقِّ لنا أن نفخرنا
المُلكُ في أيامِ هذا الملكِ
والوُزُقُ غنى ببقاهُ فحكي
ملكٌ ظُباهُ في طُلَى الأعداءِ
في صفحاتها من الدماءِ
مدَّ على الوجودِ ظللاً وارفا
الليثُ في الهيجاءِ يغدو خائفا
لا تفتخرُ قطُّ بغيرِ جاهِ
وبعدَ خيرِ الرسلِ الأواهِ
أما أنا فلستُ أرضى أحدا
معروفه المعروفُ جمُّ أبدا
قد غمَّر الناسَ بأنواعِ المنخِ
أصلحَ شأنَ كلِّ حالٍ فانصلحَ
آزرَ دينِ اللهِ كالأزرَّة
هيهاتَ أن تُلفي قدرَ ذرَّة
كم هاجَ هيجاءَ فشبتَ نارُ
إن لآخٍ من شرارها احمرارُ

(٢١٩) أسد الشرى: أشدَّاء شجعان.

(٢٢٠) الوُزُق: الحمام.

(٢٢١) الطُّبا جمع طُبة، وهي حدُّ السيف. والطلُّ جمع طلوة، وهي صفحة العنق.

(٢٢٢) العطارف جمع غطريف، وهو السيد الشريف.

مَلَكٌ سَمَا مِنْ الْعِلَاءِ قُنَّةً (٢٢٣)	فَقُلْ لِمَنْ يَجْهَلُهُ بِأَنَّهُ
رَعَى الْوَجُودَ إِنْسَهُ وَجِنَّةً (٢٢٤)	بَلْ مَلَكٌ مِنَ السَّمَا لَكِنَّةً
بِوصْفِ قَدْرِهِ السَّنِيِّ السَّامِيِّ	صَعْبٌ بِأَنْ أَحِيطَ فِي كَلَامِي
مَا فَاحَ مَسْكُ الْبَدءِ وَالخِتَامِ	لَا زَالَ مَنْصُورًا عَلَى الدَّوَامِ

تنبيه:

إنما استعملتُ في منظومتي هذه الألفاظَ التي اعترضَ عليها المعترض، ليكونَ العوأمُ ومن هو في درجتهم على يقينٍ من أن كلَّ ما تكلموا به صحيح، وإلا فالخواصُّ على اختلافِ طبقاتهم لا يداخلهم شكٌّ ولا يتخلَّلُ عقائدهم ريبٌ في صحةِ كلامِ السلف، من متقدِّمٍ ومتأخِّرٍ. والعصمةُ لله وحدهُ ولأنبيائه بعده.

والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصَلَّى اللهُ على سَيِّدِ المرسلين، وآلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

(٢٢٣) القُنَّة: الجبل المنفرد المرتفع في السماء.

(٢٢٤) مبالغة غير محمودة. عفا الله عن الناظم وتاب عليه.

المراجع

- الإحاطة في أخبار غرناطة/ لسان الدين بن الخطيب. - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ.
ألفية ابن مالك. - [القاهرة]: دار التعاون.
- الأمثال السائرة من شعر المتنبي/ الصاحب بن عباد؛ تحقيق محمد حسن آل ياسين. - بغداد:
مكتبة النهضة، ١٣٨٥ هـ.
- أنساب الأشراف/ البلاذري؛ تحقيق محمد محمد تامر. - بيروت: دار الكتب العلمية،
١٤٣١ هـ.
- البحر المحيط في التفسير/ أبو حيان الأندلسي؛ تحقيق صدقي محمد جميل. - بيروت: دار
الفكر، ١٤٢٠ هـ.
- تاج العروس في جواهر القاموس/ مرتضى الزبيدي؛ تحقيق مجموعة من المحققين. - دار الهداية.
تاريخ الأدب العربي/ شوقي ضيف. - القاهرة: دار المعارف، ١٣٨٠ - ١٤١٦ هـ.
- تاريخ الإسلام/ الذهبي؛ تحقيق بشار عواد معروف. - بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٤ هـ
التاريخ المعبر في أنباء من غير/ مجير الدين العليمي؛ تحقيق لجنة مختصة من المحققين بإشراف
نور الدين طالب. - دمشق: دار النوادر، ١٤٣١ هـ.
- تهذيب اللغة/ الأزهري؛ تحقيق محمد عوض مرعب. - بيروت: دار إحياء التراث العربي،
١٤٢٢ هـ.
- الحماسة البصرية/ صدر الدين علي بن أبي الفرج البصري؛ تحقيق مختار الدين أحمد. - بيروت:
عالم الكتب.
- الحماسة المغربية: مختصر كتاب صفوة الأدب/ أبو العباس أحمد بن عبدالسلام الجراوي؛
تحقيق محمد رضوان الداية. - بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١١ هـ.
- خريدة القصر وجريدة العصر/ عماد الدين الكاتب الأصبهاني؛ تحقيق آذرتاش آذرتوش. -
تونس: الدار التونسية للنشر، ١٣٩١ هـ. (ج٢: قسم شعراء المغرب والأندلس).
- خزانة الأدب وغاية الأرب/ ابن حجة الحموي؛ تحقيق عصام شعيتو. - ط، الأخيرة. - بيروت:
مكتبة الهلال، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤ م.

- خزانة الأدب ولب لسان العرب / عبدالقادر البغدادي؛ تحقيق عبدالسلام هارون. - ط ٤. - القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٨ هـ.
- الدرّ الفريد وبيت القصيد / المستعصي؛ تحقيق كامل الجبوري. - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٦ هـ.
- درة الغواص في أوهام الخواص / الحريري؛ تحقيق عرفات بطرجي. - بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٨ هـ.
- ديوان ابن نباتة المصري. - بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- ديوان عنتر / تحقيق محمد سعيد مولوي. - بيروت: دار المكتب الإسلامي، ١٣٩٠ هـ.
- شرح درة الغواص في أوهام الخواص / أحمد بن محمد الخفاجي؛ تحقيق عبدالحفيظ فرغلي قرني. - بيروت: دار الجيل، ١٤١٧ هـ (طبع مع درة الغواص).
- شرح ديوان بن الفارض وشرحي البوريني والنبلسي / رشيد بن غالب اللبناي؛ تحقيق محمد بن عبدالكريم النمري. - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٨ هـ.
- شرح ديوان المتنبي / العكبري؛ تحقيق مصطفى السقا؛ إبراهيم الأبياري، عبدالحفيظ شلي. - بيروت: دار المعرفة.
- شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية / محمد بن محمد حسن شرّاب. - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧ هـ.
- شرح مقامات الحريري / الشريشي. - ط ٢. - بيروت: دار الكتب لعلمية، ١٤٢٧ هـ.
- العدة في إعراب العمدة / ابن فرحون؛ تحقيق عادل بن سعد. - الدوحة: دار الإمام البخاري. فقه اللغة وسرّ العربية / الثعالبي؛ تحقيق عبدالرزاق المهدي. - بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢ هـ.
- الكامل في اللغة والأدب / المبرد؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. - ط ٣. - القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٧ هـ.
- الكشاف عن حقائق التأويل وغوامض التنزيل / الزمخشري. - ط ٣. - بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ.
- الكليات / الكفوي؛ تحقيق عدنان درويش، محمد المصري. - بيروت: مؤسسة الرسالة.

- لغة الجرائد/ إبراهيم ناصيف اليازجي؛ وقف على طبعها مصطفى توفيق المؤيدي. - القاهرة: المكتبة المحمودية، د. ت.
- لوعة الشاكي ودمعة الباكي/ خليل بن أبيك الصفدي؛ تحقيق محمد أبو الفضل محمد هارون. - القاهرة: المطبعة الرحمانية، ١٣٤١ هـ.
- مجمع الأمثال/ الميداني؛ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. - بيروت: دار المعرفة.
- المختصر من أخبار البشر، المعروف بتاريخ أبي الفداء/ أبو الفداء الملك المؤيد. - القاهرة: المطبعة الحسينية.
- المذكر والمؤنث/ أبو بكر بن الأنباري؛ تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة. - القاهرة: وزارة الأوقاف، ١٤٠١ هـ.
- المرشد إلى فهم أشعار العرب/ عبدالله بن الطيب. - ط٣. - الكويت: وزارة الأعلام، ١٤٠٩ هـ.
- معاني القرآن/ الفراء؛ تحقيق أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، عبدالفتاح الشلبي. - القاهرة: الدار المصرية للتأليف.
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص/ أبو الفتح عبدالرحيم العباسي؛ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. - بيروت: عالم الكتب.
- المغرب في ترتيب المعرب/ ناصر بن عبد السيد المطرزي. - بيروت: دار الكتاب العربي.
- المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية، المشهور بشرح الشواهد الكبرى/ بدر الدين محمود العيني؛ تحقيق علي محمد فاخر، أحمد محمد توفيق السوداني، عبدالعزيز محمد فاخر. - القاهرة: دار السلام، ١٤٣١ هـ.
- مقامات الحريري. - بيروت: مطبعة المعارف، ١٨٧٢ م.
- منتهى الطلب من أشعار العرب/ محمد بن المبارك البغدادي
- منتهى المدارك في شرح تائيه ابن الفارض/ عبدالله بن أحمد الفرغاني؛ تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي. - بيروت: دار الكتب العلمية.
- نفع الأزهار في منتخبات الأشعار/ شاعر بن مغامس البتلوني؛ تحقيق إبراهيم اليازجي. - ط٣. - بيروت: المطبعة الأدبية، ١٨٨٦ م.

نفتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب / شهاب الدين المغربي التلمساني؛ تحقيق إحسان عباس. - ط ٥. - بيروت: دار صادر. (طبعا متفرقة للأجزاء).

النهاية في غريب الحديث والأثر / المبارك بن محمد بن الأثير؛ تحقيق الطاهر أحمد الزاوي، محمود الطناحي. - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٩ هـ.

يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر / الثعالبي؛ تحقيق مفيد محمد قميحة. - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ هـ.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة التحقيق
٩	مقدمة المؤلف
١٠	ينع
١٣	ضوضى
١٥	ذهل
١٥	انفراط
١٨	أكربه
١٩	أعدّ
١٩	أهاجت
٢١	مهاب
٢٢	القسس
٢٣	استأسر
٢٤	لا يخفاك
٢٥	مفسود وانفساد
٢٧	أنفتها
٢٧	تعافيتها
٢٨	تركيب نحوي: واره، خلّده
٣٠	خربه
٣٠	مثبوت، مفسود
٣١	متعوب
٣٢	موثوق
٣٣	خفرها

٣٣	تعرف عليه
٣٤	الحشا
٣٦	مثاني
٣٦	من الضرورات: دمنة
٣٦	تذكير العين والقدم والكف والرحى والقباطي
٤٠	وُرق
٤٠	شقائِق
٤١	ضرورة: لَمَّا
٤٢	قطّ
٤٥	أبدًا
٤٦	انصلاَح
٤٧	أزَّرَة
٤٧	صفار
٤٩	زيادة الباء: بَأَنَّ
٥٢	ملحق (منظومة في تلخيص ما سبق)
٥٧	المراجع
٦١	الفهرس